

المسحاة

مجلة

المجلد العاشر
الجزء التاسع



إهداء من

الجديد

تابعوا ...

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر



WWW.ALUKAH.NET

(المجلد العاشر)

٦٤١

(الجزء التاسع)

بوتني الحكمة من يشاؤون من بركات الحكمة فقد آوتني
غورا كثيرا وما يدرك من إلا أولو الألباب

المسحاة
١٣١٥

فيهم مجادى الذين ينتصرون القول فينبون أحسنه
أو تلك الذين هداهم الله وأنتك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كنار الطريق

(مصر رمضان سنة ١٣٢٥ - آخره الاثنين ٦ نوفمبر (١) سنة ١٩٠٧)

﴿ نموذج من أنجيل برنابا ﴾

الفصل الرابع والتسعون^(١)

١ ولما قال يسوع هذا عاد فقال : « آتي أشهد أمام السماء وأشهد كل ساكن على الأرض آتي بريء من كل ما قال الناس عني من أنني أعظم من بشر ٢ لاني بشر مولود من امرأة وعرضة لحكم الله (ب) أعيش كسائر البشر عرضة للشقاء العام ٣ لعمر الله (ت) الذي تقف نفسي بحضرته إنك أيها الكاهن لقد أخطأت خطيئة عظيمة بالقول الذي قلته ؛ ليلطف (ث) الله بهذه المدينة المقدسة حتى لا تحمل بها نقمة عظيمة لهذه الخطيئة »
٤ فقال حيثخذ الكاهن : « ليفقر لنا الله (ج) أما أنت فصل لاجلنا »
٥ ثم قال الوالي وهيرودس : « ياسيد أنه لمن المحال أن يفعل بشر ما أنت تفعله فلذلك لا نفقه ما تقول »

٦ أجاب يسوع : « ان ما أقوله لصديق ان الله يفعل صلاحاً بالإنسان كما ان الشيطان يفعل شرّاً ٨ لان الانسان بمثابة حاتوت من يدخله برضاه يشتغل ويبيع فيه ٩ ولكن قل لي أيها الوالي وأنت أيها الملك أنتم تقولان هذا لانكم اجنيان عن شريعتنا لانكم الوقرأتم العهد وميثاق الهنا (١) (٢) رأيتما ان موسى حول بمصاه البحر دما والنبار براغيث والتدي زوبعة والنور ظلاماً ١٠ أرسل الضفادع والجُرذان على مصر فغطت الأرض وقتل الابكار وشق البحر وأغرق فيه فرعون ١١ ولم أفعل شيئاً من هذه ١٢ وكل يسترف بأن موسى اتماهو الآن رجل ميت ١٣ أوقف (٢) يشوع الشمس وشق

(١) سورة المؤمن (ب) الله حكيم (ت) الله حي (ث) استغفرا الله

(ج) بلاء على فرعون وغرق ذكرك منه

(١) خر ٧ (٢) يش ١٠ : ١٢ - ١٤

الأردن وهما بمالم أفعله حتى الآن ١٤ وكل يعترف بأن يسوع إنما هو الآن رجل ميت ١٥ وأنزل إيليا النار من السماء ^(١) عياناً وأنزل المطر ^(٢) وهما بمالم أفعله ١٦ وكل يعترف بأن إيليا إنما هو بشر ١٧ كثيرون آخرون من الأنبياء والأطهار وأخلاء الله فعلوا بقوة الله أشياء لا تبغ كنهم عقول الذين لا يعرفون هنا ^(٣) القدير الرحيم المبارك إلى الأبد »

(ب) الفصل الخامس والتسعون

١ وعليه فإن الوالي والكاهن والملك توسلوا إلى يسوع أن يرتقي مكاناً مرتفعاً ويكلم الشعب تسكيناً لهم ٢ حيث نذر تقي يسوع أحداً الحجارة الاثني عشر التي أمر يسوع الاثني عشر سبطاً أن يأخذوها من وسط الأردن عندما عبر إسرائيل من هناك دون أن تبطل أحذيتهم ^(٤) ٣ وقال بصوت عال : > « ليصعد كاهنتنا إلى محل مرتفع حيث يتمكن من تحقيق كلامي » ٤ فصعد من ثم الكاهن إلى هناك ٥ فقال له يسوع بوضوح يتمكن كل واحد من سماعه : « قد كتب في عهد الله الحي ^(٥) ^(٦) وميثاقه أن ليس لأهلنا بداية ^(٧) ولا يكون له نهاية ^(٨) »

٦ أجاب الكاهن : « لقد كتب هكذا هناك »

٧ فقال يسوع : « أنه كتب هناك أن هنا ^(٩) قد برأ كل شيء بكلمته ^(١٠) فقط »

(١) الله قدير على كل شيء والرحمن (ب) سورة لاله إلا الله (ت) الله حي (ث) الله قديم (ج) الله باق (ح) الله خلق (خ) خالق الله كل شيء في كلام واحد منه (١) ١ مل ١٨ : ٣٨ و ٣٩ (٢) ١ مل ١٨ : ٤١ (٣) يش ٤ : ٨ (٤) مز ٩٠ : ٢

(٥) مز ٣٣ : ٦

٨ فأجاب الكاهن : « انه لكذلك »

٩ قال يسوع : « انه مكتوب هناك ان الله لا يرى (أ) وانه محجوب (ب) عن عقل الانسان لانه غير متجسد (ت) وغير مركب وغير متغير (ث) »

١٠ فقال الكاهن : « انه لكذلك حقاً »

١١ فقال يسوع : « انه مكتوب هناك كيف ان سماء السموات لا تسعه (١) لان آلهنا غير محدود (٤) »

١٢ فقال الكاهن : « هكذا قال سليمان النبي يا يسوع »

١٣ قال يسوع : « انه مكتوب هناك ان ليس لله حاجة لانه لا يأكل ولا ينام ولا يمتريه نقص (ح) »

١٤ قال الكاهن « انه لكذلك »

١٥ قال يسوع : « انه مكتوب هناك ان الهنا في كل مكان وان لا اله سواه (خ) الذي يضرب ويشفي ويفعل كل ما يريد (ز) »

١٦ قال الكاهن : « هكذا كتب »

١٧ حينئذ رفع يسوع يديه وقال : « أيها الرب آلهنا (د) هذا هو ايماني الذي آتي به الى دينوتك شاهداً على كل من يؤمن بخلاف ذلك »

١٨ ثم التفت الى الشعب وقال : « توبوا لانكم تعرفون خطيتكم من كل ما قال الكاهن انه مكتوب في سفر موسى عهد الله الى الأبد ١٩ فإني

« أ » الله لا تدركه الابصار (ب) الله خفي (ت) لا بدن له (ث) لا يخلف

الله منه (ج) الله عظيم (ح) الله غني (خ) قال عيسى لا غير الله إلا الله فآمنه

« د » الله سلطان

بشر منظور وكتلة من طين تمشي على الارض وفان كسائر البشر ٢٠ وانه
كان لي بداية وسيكون لي نهاية واني لا أقدر أن أبتدع خلق ذبابة
٢١ حيثذ رفع الشعب أصواتهم باكين وقالوا: « لقد أخطأنا إليك
أيها الرب الهنا (أ) فارحمنا (ب) » ٢٢ وتضرع كل منهم الى يسوع ليصلي
لاجل أمن المدينة المقدسة لكيلا يدفنها الله في غضبه لتدوسها الأمم (ن)
٢٣ فرقم يسوع يديه وصلى لاجل المدينة المقدسة ولاجل شعب الله
وكل يصرخ: « ليكن كذلك آمين »

الفصل السادس والتسعون (ن)

١ ولما انتهت الصلاة قال الكاهن بصوت عال: « قف، يا يسوع
لانه يجب علينا أن نعرف من أنت تسكيناً لامتنا »
٢ أجاب يسوع: « أنا يسوع بن مريم (ج) من نسل داود بشرمات
وبخاف الله وأطلب ان لا يعطي الإكرام والمجد الا لله »
٣ أجاب الكاهن: « انه مكتوب في كتاب موسى ان الهنا سيرسل
لنا مسياً (ح) الذي سيأتي ليخبرنا بما يريد الله وسيأتي للعالم برحمة الله ؛ لذلك
أرجوك ان تقول لنا الحق هل أنت مسياً (خ) الله الذي نتظره ؟ »
٥ أجاب يسوع: « حقاً ان الله وعد هكذا ولكني لست هو لانه
خلق قبلي وسيأتي بعدي (١) »

٦ أجاب الكاهن : « انا نعتقد من كلامك وآياتك على كل حال انك نبي و قدوس الله ٧ لذلك أرجوك باسم اليهودية كلها واسرائيل ان تهيدنا حياً في الله بأية كيفية سيأتي مسياً »

٨ أجاب يسوع : « لعمري الله (١) الذي وقف بحضرة نفسي اني لست مسياً الذي تنتظره كل قبائل الارض كما وعد الله ابائنا ابراهيم (١) قائلاً : بنسلك ابارك كل قبائل الارض : ٩ ولكن عند ما يأخذني الله من العالم سيثير الشيطان مرة أخرى هذه الفتنة الملعونة بأن يحمل عادم التقوى على الاعتقاد بأنني الله وابن الله ١٠ فيتجسس بسبب هذا كلاي وتطليبي حتى لا يكاد يبقى ثلاثون مؤمناً ١١ حيثئذ يرحم الله العالم ويرسل رسوله الذي خلق كل الاشياء لاجله ١٢ الذي سيأتي من الجنوب بقوة (ب) وسيبيد الاصنام وعبيدة الاصنام ١٣ وسيترزع من الشيطان سلطته على البشر ١٤ وسيأتي برحمة الله لخلاص الذين يؤمنون به ١٥ وسيكون من يؤمن بكلامه مباركا »

الفصل السابع والتسعون (٦)

١ « ومع اني لست مستحقاً أن أحل سير حدائه (٢) قد نلت نعمة ورحمة من الله لاراه »

٢ فأجاب حيثئذ الكاهن مع الوالي والملك قائلين لا زعج نفسك يا يسوع قدوس الله لان هذه الفتنة لا تحدث في زمنا مرة أخرى ٣ لاتنا

سنكتب الى مجلس الشيوخ الروماني المقدس باصدار أمر ملكي أن لا أحد يدعوكم فيما بعد الله أو ابن الله »

- ٤ فقال حينئذ يسوع (١) : « ان كلامكم لا يعزني لأنه يأتي ظلام حيث ترجون النور ه ولكن تعزيتي هي في عجيء الرسول الذي سيبيد كل رأي كاذب في وسيتم دينه ويم العالم بأسره لأنه هكذا وعد الله أبانا ابراهيم ٦ وان ما يعزني هو أن لا نهاية لدينه (ب) لأن الله سيحفظه (ت) صريحاً »
- ٧ أجاب الكاهن : « أيا تي رسل آخرون بعد عجيء رسول الله (ث) ؟ »
- ٨ فأجاب يسوع : « لا يأتي بعده أنبياء صادقون مرسلون من الله ٩ ولكن يأتي عدد غير من الانبياء الكذبة وهو ما يحزني ١٠ لان الشيطان سيثيرهم بحكم الله (ج) العادل فيسترون بدعوى أنجيلي »
- ١١ أجاب هيرودس : « كيف ان عجيء هؤلاء الكافرين يكون بحكم الله العادل ؟ »

- ١٢ أجاب يسوع : « من العدل ان من لا يؤمن بالحق لخلاصه يؤمن بالكذب للعتة ١٣ لذلك أقول لكم (ح) ان العالم كان يمتن الانبياء الصادقين دائماً وأحب الكاذبين كما يشاهد في أيام ميسم وأرميا (١) لان الشبه يجب شبيهه (خ) »

« ا » قال عيسى صفائنا جثة رسول الله لانه اذ جاء في الدنيا يرفع اعتقاد السوء من أهل الدنيا لنا ودينه يضبط جمع الدنيا لدينا منه « ب » دين رسول الله أبدي لانه تعالى يحفظ دينه منه « ت » الله حافض « ث » رسول الله خاتم الانبياء « ج » حكم الله عادل « ح » والى بني آدم « خ » الجنس مع الجنس منه

١٣ فقال حيثنذ الكاهن : « ماذا يسى مسياً وماهي العلامة التي تملن مجيئه (١) »

١٤ أجاب يسوع : « ان اسم مسياً (ب) عجيب لان الله نفسه سماه لما خلق نفسه ووضعها في بهامساوي ١٥ قال الله : « اصبر يا محمد (ت) لاني لاجلك (ث) أريد أن أخلق (ج) الجنة والعالم وجما غفيراً من الخلائق التي أمها لك حتى ان من يباركك يكون مباركاً ومن يلعنك يكون ملعوناً ١٦ ومتى أرسلتك (ح) الى العالم أجعلك رسولي للخلاص وتكون كلمتك صادقة حتى ان السماء والارض تهناز ولكن ايمانك لا يهن أبداً ١٧ ان اسمه المبارك محمد :»

١٨ حيثنذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين : « يا اللهم أرسل (خ) لنا رسولك (د) يا محمد (ذ) تعال سريعاً لخلاص العالم ا »

الفصل الثامن والتسعون (ر)

١ ولما قال هذا انصرف الجمهور مع الكاهن والوالي مع هيرودس وهم يحتاجون في يسوع وتطيعه ٢ لذلك رغب الكاهن الى الوالي ان يكتب

« ا » جات طائفة من اليهود عيسى يسألون عن اسم النبي الذي يبعث في آخر الزمان فقال عيسى ان الله تعالى خلق النبي في آخر الزمان ووضع في قنديل من نور وسماه محمداً قال يا محمد اصبر لاجلك خلقاً كثيراً وجبت لك كله فمن رضي منك فانا راض منه ويبغضك فانا برىء منه فاذا أرسلت يفوق كلامك على كل الكلام وشريعتك باقية الى أبد الأبدين « ب » رسول « ت » محمد « ث » الله محب ووهاب « ج » الله خالق « ح » الله مرسل « خ » الله مرسل « د » رسول الله « ذ » يا محمد « ر » سورة طاعم « طعام »

٦٥٨

خطبة اسماعيل بك غصبرنسكي (الناشر ١٠٠٠)

بالامر كله الى رومية الى مجلس الشيوخ قفل الوالي كذلك ٣ كذلك
نحن مجلس الشيوخ على اسرائيل وأصدر أمراً أنه ينهي ويتوعد بالموت
كل أحد يدعو يسوع الناصري نبي اليهود إلهاً أو ابن الله ؛ فطلق هذا
الامر في الهيكل منقوشاً على النحاس» الخ



خطبة اسماعيل بك غصبرنسكي (*)

تلاها باللغة التركية في ردهة فندق الكونتيل بالقاهرة على نحو ثلاث مئة
رجل من جميع الطبقات المتعلمة (ماعدا الامراء) وقرأ ترجمتها بالعربية الشيخ
عبد الوهاب النجار :

— شيء من أحوال المسلمين في البلاد الروسية —

نشأت لمسلمي روسيا في الأزمان السالفة دولتان كبيرتان . احدهما دولة
« آلتون أوردو » وكانت عاصمتها مدينة « سراي » قرب بحر قزوين والآخرى
الدولة التيمورية . ولما سقطت هاتان الدولتان الكبيرتان وقامت على أنقاضهما
خانات (امارات) صغيرة متعددة وهي امارة سيير ياوا امارة قزان و امارة استراخان
وامارة قريم و امارات القاقاس نشأت في آسيا الوسطى امارات بخارى وخيوا
وخوقند وعدة جمهوريات صغيرة . اذا صح هذا التعبير - في تقوم الدولة
الابرانية الشمالية .

ثم دار الزمان دورته وحمل لامارني بخارى وخيوا أن تصيرا داخل حدود
الممالك الروسية وتدخلت تحت حمايتها . وأما بقية الامارات فقد استولت عليها
الروس استيلاء كاملاً وصارت الآن ولايات روسية صرفة
أول الامارات سقوطاً هي امارة قزان وسيبيريا وأما الجمهوريات التركمانية
فلم تخضعها الروس الا في العهد الاخير

(راجع باب الاخير من هذا الجزء)

نزل معظم مسلمي روسيا في آسيا وفي القافقاس وقسم عظيم منهم يقطنون الولايات الداخلية والشرقية من أوروبا الروسية وقليل في شبه جزيرة قريم وعدد المسلمين الساكنين في القافقاس الشرقية وداغستان وفي تركستان تسعون في المائة بالنسبة لغيرهم من الشعوب هناك . وأما في سيبيريا فهم الأقلون . والساكنون منهم في الولايات الشرقية من أوروبا الروسية يختلطون بالروس وسائر الاجناس . وهم الأكثرون في ولاية أوقا اذ هم هناك سبعون في المئة بالنسبة لغيرهم . وأما عدد مجموعهم فهو يناهز - بحسب احصاء سنة ١٨٩٧ - سبعة عشر مليون نسمة . واذا ضممنا اليهم أهل بخارى وخيوا جاوز عددهم ٢٠ مليوناً . ولا ينبغي أن يفوتنا العشرة الملايين من الترك الساكنين في تركستان الصينية (كشر) الذين تجمعهم ومسلمي روسيا أوامر اللغة والآداب وبذلك تألف هناك « مجتمع جنسي » مؤلف من ثلاثين مليون نسمة .

تسعة وعشرون مليوناً من هؤلاء سنيون ومليون واحد شيعيون . وأما من حيث الجنسية واللفة فكلمهم ترك سوى ثمانمائة ألف من قبائل الشراكسة القاطنين في جبال القافقاس ولهم مع ذلك الملام باللفة التركية .

يشتغل مسلمو روسيا بالزراعة وتربية المواشي وبالتجارة بحسب ما تسمح لهم مواطنهم . وكانت لهم في سائر الايام صناعات تذكر . ولكنها أخذت تسقط رويداً رويداً من مكائنها الاولى بمزاحة مصنوعات المعامل الأوروبية الحديثة كما هي الحال في الأقطار الإسلامية قاطبة . والتقريبيون منهم معروفون بتمهده البساتين وانباء الفواكه المختلفة الطيبة

والقرواقيون أو القافقاسيون يشتغلون في الغالب بتربية دود القز وصنع البسط والطنافس الجيدة . وقد انتشرت بينهم في العهد الأخير زراعة القطن انتشاراً عظيماً . وأما التركستانيون فيقومون على تربية دود القز وانباء الفواكه وزراعة القطن . والجهات الشمالية من آسيا الوسطى عبارة عن القفار والاراضي القاحلة ويندر فيها الماء العذب السائغ وتقلب في ارجائها قبائل رحالة بمواشيها وانعامها .

في ولايات أوروبا الروسية والقوقاس أربع مشيخات إسلامية . ثلاث منها

٦٦٠ الجوامع والمدارس والمعطلون والمتطلات بروسيا (المنار ٩ - ١٠)

للسنين وواحدة للشيعة . ولدى كل مشيخة مفت (أوشينغ اسلام) وثلاثة قضاة أو أعضاء . وتنظر هذه المشيخات في الامور الدينية البعثة كالنكاح والطلاق والموارث والنسب وتقسيم التركات وتوزع السجلات على أئمة المساجد كي يثبتوا فيها المواليد والوفيات وعدد الطلاق والنكاح وما إليها مما يقع في أحيائهم . وتقسيم التركات الاسلامية في روسيا على وفق الشريعة الاسلامية . وكذلك الوصايا الاسلامية لا يحسبها القانون الروسي بسوء .

في كل قرية اسلامية - في أوربا الروسية وفي القريم - مسجد وكتاب . وأما القرى الكبرى ففيها عدة مساجد وعدة كتائب

وفي أوربا الروسية والقوقاس سبعة آلاف مسجد ومائة ألف كتاب وما ينفى على مائة مدرسة دينية وأكثر مسلمي روسيا عناية بأمور التعليم والمدارس المسلمون الساكنون في الولايات الداخلية الروسية

وعدد المتطلات من البنات في الكتائب يساوي ثلث المتعلمين من الذكور وبما يحسن ذكره هنا ان جماعة من الفتيات المسلمات يتعلمن في مدارس البنات التجهيزية الرسمية . وكذلك تعلم اليوم في القسم الطبي من « جامعة » بطرسبورغ أربع عشرة فتاة مسلمة . وقد كانت أكلت دروس الطب فيها فتان مسلمتان وهما تمارسان اليوم صناعة الطب . وكان دخول السيدة « رضية » إحدى تينك الطبيين في الجامعة بسعي المرحوم شاكر باشا السفير السابق للدولة العثمانية في بطرسبورغ

وليس لدي الآن تفصيل بشأن الكتائب والمدارس الاسلامية في آسيا الروسية ولكني أعلم ان المدارس الدينية كثيرة ملأى بطلاب العلوم في مدينة بخارى وخوقند وسمرقند وغيرها من حواضر البلاد التركمانية

وإني لأتملك ان أذكر هنا بكل أسف ان تلك المدارس لا تخرج تسود فيها القوقسي والخلل في طرق التعليم . ومن أجل ذلك لا تأتي بفوائد يقتضيها هذا الزمان ونطاق برجراماتها أضيق من أفكار الامة القائمة فيها بالتعليم والتدريس وليست يتنا إلى الآن مدارس للمعلمين والمعلمات ولكن فكرة انشاء المدارس

(المقالة ١٠ -) المطابع والجرائد والجمعيات والكتاتيب لمسلمي روسيا ٦٦١

من هذا القبيل قد حدثت في العهد الأخير
انتشرت بين مسلمي الروس فكرة الارتقاء والتقدم منذ ربع قرن انتشاراً
يذكر . ومن ثمرات هذه الفكرة أنهم جعلوا في العهد الأخير يصلحون كتاتيبهم
ومدارسهم وينشرون المؤلفات المفيدة في العلوم المصرية والأدبيات التركية وطقوا
ينشئون المعاهد العلمية على الطراز الحديث ويرسلون التلاميذ إلى المدارس الروسية
والأوروبية وإلى الاستانة ومصر لتلقي العلوم الحديثة المصرية والعلم العربية والدينية .
ويناهز عدد الكتب المنتشرة بين مسلمي روسيا في العلوم المصرية والأدبية
نحو خمس مئة كتاب

وعدد المطابع الإسلامية الموجودة في روسيا كما يأتي:

ثلاث في بطرسبورغ وثلاث في قزان وثنان في تفليس وثنان في باكو وواحدة
في باغجة سراي . وفي قزان ثلاث مطابع روسية ذات حروف عربية فيكون المجموع
ثلاث عشرة مطبعة . وأما الصحف المنتشرة الإسلامية في البلاد الروسية فهي
صحيفتان في بطرسبورغ وأربع في قزان وثلاث في أودنبورغ وثلاث في باكو
وواحدة في طاشقند قاعدة تركستان اليوم وواحدة في تفليس وواحدة في باغجة سراي
واحدة من هذه الصحف تصدر باللغة العربية والبقية بالتركية . وأحد الصحف
التركية تكتب بلهجة تقرب من لهجة الترك العثمانيين والبقية تكتب الآن بلغات
تركية مختلفة باختلاف الأقاليم . والرجاء أن تتعدلات هذه الصحف أو تتقارب كل
التقارب في مستقبل قريب أو بعيد . وهذا الاتحاد القوي غاية ما يرمي إليه المصلحون
والمثقفون من ثلاث صحف من تلك الصحف علمية أدبية والبقية سياسية أيضاً . وأما
من جهة الخطة فثلاث عشرة صحيفة منها وطنية معتدلة وثنان رومان إلى غاية
« اشتراكية ديمقراطية »

وفي روسيا اثنا عشرة جمعية خيرية إسلامية غرضها إسعاف الموزين والاخت
بأيدي البائسين والمساكين ولها قوانين مصدق عليها من الحكومة
ويتجاوز عدد الكتاتيب التي أصلح أمرها ألف كتاب تعلم فيها القراءة التركية
والكتابة والقرآن والمقائد الدينية ومبادئ الحساب والجغرافية والتاريخ الإسلامي

وشيء من علم حفظ الصحة

وأما المدارس الدينية فقد أصلحت منها مدرسة في قزان وأخرى في أورنبورغ وثالثة في أونا . وفي تلك المدارس تدرس اليوم العلوم الرياضية والطبيعية وتقوم البلدان والتاريخ . دعى عنك العلوم العربية والدينية بأنواعها

ولقد نشأ لمسلمي روسيا أفراد جادوا بأموالهم وأنفسهم أملاً لهم في سبيل ترقية المعارف وإعلاء قدر الأمة والملة . وأخص بالذكر من بينهم المرحوم الحاج فمة الله قراميشف السييري الذي بذل أموالاً طائلة في سبيل إنشاء مئة كتاب ومئة مسجد وأنفق مبلغاً عظيماً لتأسيس مكتبة عامة أو دعماً لأنفس الكتب وأندرا لا آثار . أكرم الله مثواه وأحله مقاماً كريماً . وأنفق الناجر القزاني المرحوم أحمد الحسيني في إنشاء معاهد العلم وترقية المعارف ثلثمائة ألف روبل . وأنشأ شقيقه عبد الغني الحسيني مئتي كتاب على نسق حديث وقد نشر بهمة الشما فكرة إصلاح الكتابات وكذلك الأصول الحديثة المعروفة بالأصول الصوتية التدريجية إلى تخوم الصين وذلك بإنشاء الكتابات في تلك الديار النائية كما أنشأها في الولايات الروسية المتوسطة جزام الله عنا وعن العلم والقراءة جزاء حسناً

ومن تقضي علينا الإنسانية أن نذكر اسمه مقروناً بالاجلال والاحترام الحاج زين العابدين تاجيف البا كوي لأن خدمة هذا المثري الكريم في سبيل نشر العلم وإسماع الفقراء أكثر وأجزل

أنشأ هذا الرجل في داغستان مئة مسجد ومئة كتاب . وأنشأ في ضواحي مدينة باكو حقلاً نموذجياً . وأنشأ للدفاع عن الحقوق الوطنية جرائد متعددة باللغة الروسية والتركية

وبذل ملايين من الروبلات لتعليم أناس كثيرين في الجامعات الروسية والأوروبية . وما معظم الأطباء والمحامين والمهندسين المسلمين الذين نفتخر بهم إلا من آثار همة هذا الرجل الكريم . ولم ينس هذا الرجل العظيم المسلمات أيضاً فقد أنشأ في مدينة باكو مدرسة شامخة للبنات أنفق على بنائها فقط عشرين ألف جنيه . ووقف عليها وقفاً يأتي بإيراد قدره ثلاثون ألف جنيه سنوياً ولا يمد أن

تصبح هذه المدرسة ذات يوم « المدرسة الجامعة » للأنات
ولم يجتزى هذا الرجل بمساعدة من في روسيا فقط بل مديدا المعونة الى ايران
أيضا . وقد طبعت هناك كتب جمة على نفقة هذا الرجل الكريم . ويقدر ما ساعد
به المنكوبين والباثسين في البلاد الفارسية بمليون رو بل وزيادة
أيها السادة : شاركوني في الدعاء لهذا الرجل الناصح للانسانية والخدام للفضيلة .
أطال الله بقاءه وحفظه من كوارث الزمان .
وأما الاغنياء الذين أنشأوا كتابا أو كتابين ومدرسة أو مدرستين فهم كثيرون
جدا يتعذر على الآن احصاؤهم وما الخطوة التي خطوناها الى الامام في ميدان
التقدم الا بفضل هذه الكتابات والمدارس التي أسست ووصلت بهمة أمثال من
ذكرنا أنما هم من أولي المهم العالية الى ما وصلت .

وها قد آن لنا أن نوجه وجه الكلام الى الامور التجارية والاقتصادية .
ان لدى المسلمين الساكنين في آسيا الوسطى وأوروبا الروسية قوة تذكر في هذا
الشان . ولكنه لا بد من أعدادها وتنميتها بنشر العلوم والمعارف بينهم . لان الاقوام
الذين يتفق للمسلمين ان ياروم في ساحة الاعمال التجارية أشداء أقوىاء نيا
يجارسون . فسلمى روسيا — عدا من يسكنون منهم الولايات الداخلية — من
الاراضي ما يكفيهم للاستغلال . وقد تولدت بينهم فكرة الحرص عليها وعدم تمكين
الآخرين منها تولدا يشر بحسن النية ان شاء الله . وأهل تركستان يارعون جدا
في أمور الفلاحة والزراعة . لا يقدر على نزع الارض الغالة من أيديهم — من الوجهة
الاقتصادية — لا الروس ولا مهاجرو الالمان .

وم يكدحون في أمر الزراعة كدحا لا يرفون فيه الملل والسآمة . فهم
يشبهون المصريين من هذه الوجهة كل الشبه ولكن أراضيهم الغالة أكثر وأفسح
من أراضي القطر المصري . ونصف القطن الذي تحتاج اليها معامل المنسوجات
الروسية يرد من الخارج وأما النصف الآخر فهو ثمرة كدح أهل تركستان وخدم
فزارع القطن في تركستان يجلبون من روسيا الاوروبية الى بلادهم مبالغ طائلة .

وأما المسلمون القاطنون في مدينة قران وما يتاخها من البلدان فلم كثير من معامل الصابون والجلد . ومن معامل الجوخ ما فيه ثلاثة آلاف عامل . ومن جعلتها معامل « آقجورين » المئري المسلم الشهير . وتبيع هذه المعامل سنويا الى الجيش الروسي من الجوخ ما يناهز مليون متر . والمئري الشهير الحاج زين العابدين ثاغيف الذي تقدم ذكره معمل المنسوجات القطنية فيه أربعة آلاف عامل . وأكثرهم من المسلمين . وكذلك المهندسون وزعماء العمال فيها . وأما مديرتها فكان من قبل انكليزيا ولم يبق اليوم حاجة الى الانكليزي اذ جعل صاحبها يديرها بنفسه وهناك بيوت تجارية اسلامية كبيرة تشغل باستخراج النفط والبترول يبلغ ما يتعامل به أحدهم عشرة ملايين روبل

وأكثر السفن التي تسير في بحر قزوين ملك للمسلمين والفواكه الطيبة التي تنفك بهار روسيا كافة تاتي أكلها في بيوت المسلمين في القريم . لا يظن ظان ان ذلك ارتقاء عظيم وتقدم عظيم . لان كل ما ذكرناه عن مسلمي روسيا هو شيء طفيف ناه جدا بالنسبة الى الامم الراقية الحية التي تخطو في مهيع التقدم والارتقاء بخطا العفاريات، وتهدي الى أسباب النجاح والافلاح اهداء الحرير، ونعفى في سبيل الخير والصالح مضاء الاصليت ولكنه لا ينبغي لنا ان لا نياس ونتقاعد عن النظر فيما يرقى شؤنا ويصلح حالنا اذ كل من سار على الدرب وصل

ولا شك أن مسلمي روسيا يستفيدون ويفيدون من الانقلاب الذي حدث في روسيا ومن دستورها الذي هو ثمرة ذلك الانقلاب استفادة كبيرة . وقد تنبئت أفكار الأمة في السنين الثلاث الأخيرة تنبها عظيما واتسع نطاق الآمال اتساعا جسيما . حقا ان انقلاب روسيا أثر تأثيرا يذكر في مسلمي روسيا وأقام بفوائد جمة . ولست الآن بمكثف بتعداد تلك الفوائد جمة بل أحب أن أذكر هنا أهمها وأعودها عليهم برادة

أيها السادة : ان مسلمي روسيا أنشأوا لأنفسهم حزبا سياسيا دستوريا ديمقراطيا باسم « ائتلاف مسلمي روسيا » فاجتمع مندوبو المسلمين في الولايات المختلفة في

أغسطس سنة ١٩٠٥ في مدينة « نيجني نوفغورد » غير أن الوالي لم يسمح بمقد الاجتماع رسمياً . ولم يكن الوقت لينسح لتحصيل الاذن من العاصمة . فقد المندوبون اجتماعهم على ظهر باخرة استأجروها للتنزه عليها في نهر « فولجا » . فقررت الآراء في ذلك الاجتماع انشاء (حزب اتفاق المسلمين) وانشاء فروع له في الولايات لثب عن حقوق المسلمين السياسية والاقتصادية والادبية .

وقد أنشئت لهذا الحزب الذي يتقوى يوما فيوما فروع في بعض الولايات بالفعل ودرجت قوانينها الى الحكومة لتصادق عليها . وكذلك عقد المسلمون سنة ١٩٠٦ اجتماعا غير رسمي في بطرسبورغ وآخر رسمياً في « نيجني نوفغورد » وبلغ عدد الحاضرين في الاجتماع الثالث سبع مئة رجل وامتدت مدة المناقشة خمسة أيام

وبفضل هذه الاجتماعات انتشرت الافكار السياسية بين المسلمين انتشاراً زائلاً ففسى لهم أن ينتخبوا منهم أربعة وعشرين نائباً للدوما الأولى و٣٦ نائباً للدوما الثانية ولا يسعنا هنا الا الاعتراف بأن هذا النجاح الباهر في الانتخاب في ثينك المرتين لم يحصل بهمتنا فقط بل كان فيه لقوانين المادة ومعاملة أحرار الروس لنا معاملة شريفة تأثير كبير لا ينكر

نعم ان أحزاب الثمقر من الروس ينظرون الى « اتفاق المسلمين » نظر المختاظ المستشط ولكنه غير خارج عن دائرة القانون حتى تكرهه الحكومة وليس حزبا يسمى لا يباع التفرة بين الرعايا الروسيين حتى ينفر منه الاحرار من الروس . ومما يحسن ذكره هنا أن المسلمين يعيشون مع الروس على غاية من الوفاق والوثام . وأمة الروس كثيرة الجنوح الى الائتلاف والسلام . وهم لا ينظرون الى المسلمين نظر المتبن المزدرى بل يعاملونهم معاملة القرين لقرينه وأرباب الجمعيات العلمية والادبية والاندية والمدارس كلها مفتحة في وجوه المسلمين اذا هم رغبوا في اللحاق بأهلها نعم قد حدث في الايام الخابرة بتأثير الكنيسة وجماعة البشرين بعض الحوادث المؤلمة ولكنها قد زالت أسبابها بعد أن أعلنت الحربه كل الزوال ونو مل

٦٦٦ التعليم العام عند قدماء المصريين واليونان والمسلمين (المنار ٩-١٠)

أن تحسن أحوالنا في المستقبل أكثر مما نصنت . رأينا كثيرين ممن أكرهوا زمن الاستبداد على التنصر قد عادوا الى الاسلام وكذلك انتحل الاسلام انفس من الروس الاصليين رجالا ونساء . والفضل في ذلك كله الحرية التي ترقى بها الامم وتكمل الانسانية

﴿ مسألة التعليم العام ﴾

إذا أرادت معظم أمم الارض أن تدخل في دور التمدن والرقى يكفينا النظر في مستقبلها فقط وعلى العكس من ذلك الامة الاسلامية فإنها مطالبة بأن تمد بنظرها الى الماضي أيضاً فليس في الامم الأخرى في غابر أزمانها ما يستدعي الالتفات نحوه . أما الامة الاسلامية فإن أحوالها السالفة كلها عبر وحسنات رقي ونجاح . ولما كانت الامة الاسلامية الحاضرة تتماز على غيرها في هذا المبدأ فلا بأس من أن تعيد نظرة الى الوراء خصوصاً في مسألة التعليم وانشاء المدارس

أن مصر هذه التي تعد منبعاً للمعارف ومهداً للمدنية وإن كانت في سالف أيامها أي منذ ٤٠ قرناً اشتهرت بارتقائها في العلوم الا أن هذه النعمة ماقتت اذ ذاك غير كونها آلة لتوسيع نفوذ طائفة الكهنة وواسطة لتقوية أهوائهم ثم انتقلت القراءة والكتابة الى ديار اليونان فظهرت فيها عدة مجامع علمية كدارس سقراط وافلاطون وارسطاطاليس الا أن هذه المجامع لم تكن على شكل مدارس اليوم ، بل كانت أشبه بمجالس المذاكرة خاصة يختلف اليها المولعون بالبحث والمناظرة وأعني بذلك أنها لم تكن عامة للتدريس يهرع اليها كل طالب . انتقلت المدنية اليونانية بعد ذلك الى الرومانيين ثم ظهرت النصرانية بظهور الدولة القسطنطينية فتقدمت معها قوانين ادارة الملك وعلم الحقوق تقدماً عظيماً ولم تنبه فيهم أيضاً فكرة تعميم التعليم فبقيت هذه المسألة غامضة غريبة عن الافكار الى أن قبض الله تعالى للعالم الانساني الامة الاسلامية التي اهدت الى هذه الفكرة لاول وهلة فأخذت مسألة التعليم العام بسبب عنايتها حظها من التوسع والانتشار . ومنشأ ذلك الاسلام نفسه لانه كما أتى بالتوحيد اتى بما يدعو الى وجوب تعليم العالم . فلقد كان من مقتضى ذلك ان المسلمين بنوا عند كل مسجد مقام فيه الشعائر

(المنارة - ١٠) الاسلام من التعليم المجاني العام. تيقظ المسلمين للعالم ٦٦٧

الاسلامية كتباً او مدرسة لتعليم العام مجاناً . فاصبح التعليم العام المجاني من جملة الخيرات التي انتجتها المدنية الاسلامية في العالم الانساني . ثم لم تلبث هذه النعمة العظيمة في ايدي المسلمين زماناً طويلاً حتى انتقلت منهم الى الامم الغربية وهناك نالت ما ناله من الحفاوة والاحلال فقدمت تقدماً باهراً وانتشرت انتشاراً عظيماً فوا أسفاه على هذه الخسارة التي لحقت بنا ووا أسفاه على ذلك الاهمال الذي أنقص بنا الى ضياع هذه النعمة من أيدينا بعد أن ورثناها عن آباءنا . لقد قصرنا في حفظها تقصيراً لا مزيد عليه . فالمعارف التي تركها لنا الاسلاف بقيت طفلة في مهدها ولم نصل على انعامها بل المدارس والمعاهد العلمية التي هي تذكرا المتقدمين لنا لم نسع في ترقيةها فبدل أن نعرفها ونرفع أعلام مجدها السابق سمعنا في تخريبها أو هدمها .

ان تلك المعاهد العلمية التي نشأ منها أمثال ابن سينا والفرابي وابن رشد والغزالي ومحيي الدين بن العربي أصبحت منذ عدة قرون دوراً للمعزة الضعفاء ومسكناً للمعتلين

ولم يكن السبب في حالتنا هذه الا التكاليف والاهمال الذي أسبل ستار الغفلة علينا وحال دون تدبينا الى حالة الامم الاخرى .

أما الآن فقد أقبل . والله الحمد والثناء . على الأمة الاسلامية دوراً التي تيقظ فأخذت الرغبة في التعليم تتولد في كل جهة من الممالك الاسلامية فأصبحنا نسمع صدى بعض الافراد والحكومات للتفكير في شؤون التعليم والمدارس ولكن ذلك من سوء الحظ لم يبلغ الخطة المطلوبة نحن معشر المسلمين منذ ثمانية قرون قد تركنا لأوروبا غنائم كثيرة وخزائن من المعارف ولم نطالبهم أثناء هذه المدة بردها اليها . ولكن قد حان الآن وقت الاعادة فليتنا أن نسترددها منهم استرداداً يحمل ما توفر لديهم حتى الآن من انعامها . ولا يقال هنا أن الشرق غريم للغرب اذ لا يقصد منه الا الذهب الذي لا يساوي شيئاً اذا قيس بالعلوم والمعارف التي هي حقوق الشرق على الغرب ففرامة الغرب لنا هي أعظم بكثير من غرامتنا له فعلى الدائن أن يطالب المدين

٦٦٨ نققات التعليم العام وطريق اقتصادها (الذاري - ١٠)

ولست هذه الكلمات من بنات أفكارى الخاصة كلا بل يقولها فؤاد المتقن الألماني ودراير العالم الأمريكى وما سأعرضه أيضاً مما يثبت تاريخ التعليم لا ينكر اليوم أحد من العقلاء المستعدين ضرورة التعليم العام لنوع البشرى وخصوصاً للأمة الإسلامية فإن ديننا القويم يقضى علينا بتصديق هذا الأمر وقبوله وإبرامه ووضع موضع الاجراء . وفي نظري أن هذا الأمر ليس من قبيل المسائل حتى يتناقش فيه بل هو أمر ديني قطعي فما علينا إلا أن نتناقش في كيفية اجرائه وإيجاد الطريق القويمة الموصلة الى هذا المقصد لتجديله فقط .

وقد أثبتت تجارب أعظم الأمم المتقدمة في هذا العصر أنه لا يمكن تعميم التعليم ونشره إلا بوجود كتاب واحد لكل ستين أسرة من الأمة .
وأما طريقة إجراء العمل فتكون بحسب الميزان الآتي .

لو فرضت مملكة من الممالك يسكنها نحو عشرة ملايين نسمة فقدر ما يلزمها من الكتاتيب هكذا . يتعين أن تقسم هذه العشرة الملايين على خمسة (أقار) ثم تقسم الحاصل وهو مليونان على ستين فيبلغ عدد الكتاتيب على هذا الحساب نحو ثلاثة وثلاثين ألفاً وهذا هو المقدار المعين الكافي لعشرة ملايين نفس

فلو بلغت مصاريف كل كتاب مع نققات الأدوات ومزونات المعلمين نحو ٤٠ جنياً يكون المجموع ١٣٣٠.٠٠٠ جنيه . فإذا أضفنا إليه مبلغ ٢٠٠.٠٠٠ جنيه وهو ما يلزم للاتفاق على ارادة تلك الكتاتيب وغيرها من مدارس المعلمين نحتاج في إيجاد التعليم العام الابتدائي الى ميزانية قدرها ١٥٠٠.٠٠٠ جنيه

وهذا لا شك مبلغ جسيم إلا أنه لا ينبغي أن لا يروعنا بحجمه . لان الفائدة التي نستفيدها من هذا المشروع مادية كانت أو معنوية أعظم وأرق بكثير من ذلك المبلغ . فنانسبة مبلغ ١٥٠٠.٠٠٠ جنيه لعشرة ملايين نسمة الانسبة جزئية جداً تقضي بدفع ١٥ قرشاً على كل نفر في السنة و٧٥ قرشاً عن كل أسرة . وربما يقال هنا إن طائفة العمال لا يستطيعون دفع ذلك . فنقول كلا لانا لو فرضنا أن عاملاً يشتغل في السنة ٣٠٠ يوم فيكون حاصل قسمة ٧٥ قرشاً عليها ما يعين ونصفاً فقط وهو ما يطالب باقتصاده من مكسبه اليومي الذي لو بلغ خمسة قروش مثلاً

لا يكلفه إخراج ذلك منه الا أن يتنازل عن فئتان من القهورة يتناوله يوميا وعن سيجارين على الاكثر

فبقي علينا أن نبحث في النفقة اللازمة لبنائها فاذا فرضنا أن نفقة كل كتاب على حده هو ١٥٠ جنيا تبلغ نفقات ٣٣ ألف كتاب ٥ ملايين من الجنيحات .
وحينئذ تقع في مشكلة عظمى أيضا وهي خلو اليد من النقود . فما الحيلة ؟ الجواب سهل . وهو ان الأمة مادامت حية فالتقود توجد ألبنة أولا يد من وجودها .
النقود التي وجدت عند تأسيس الاهرام الجسسية لم لا توجد لبناء مدارس ؟
واذا كان يجوز للامم الحية اقراض المال لانشاء السكك الحديدية والبرازخ والترع فلماذا لا يجوز اقراضها لانشاء المدارس ؟

هذا وهناك طريقة أخرى لسهولة اجراء هذا المشروع وهي تمهزة مدة الا كتاب الى عشر سنين لانه من البديهي أن مثل هذه المشروعات المهمة لا تتم دفعة واحدة كما أنها لا تتم الا باكتساب ثقة الامة ورغبها في المشروع .

﴿ الحاجة الى مؤتمر اسلامي عام ﴾

نرى المسلمين اليوم تنبها بعض التنبه في الاقطار الاسلامية كافة . وهب فضلاؤهم لانشاء الصحف والجرائد التي لها أثر عظيم في تنبيه الافكار والارشاد الى الخير والصالح ونسمع ان مسلمي بعض البلاد ينشئون جمعيات خيرية وعلمية . هذه علامة خير تقربها عين كل ناصح للانسانية ولكن لا يجوز لنا ألبنة ان تجترى بهذه العلامة الحسنة ثم نخلد الى أرض الدعة والكسل . فالمستقبل الحسن لمن يدأب ويعمل . لاجرم ان المرء يرى اذا جاء طرفه في الاقطار الاسلامية من مدينة قران الشمالية الى مصر الجنوبية ومن مرا كش المغربية الى جاوا الشرقية علامة الانحطاط أكثر من علامة الارتقاء .

فقد عادت معظم المدارس مثابة للماجزين والباطالين . ودثرت الصناعات الوطنية أو أشرفت على الدور . أصبح حفظنا قليلا من تجارة العالم وبدنا ضئيلة في الصرف والشؤون المالية ونصدينا عدما في التجارة البحرية . وليس لهذه الأمة التي ينفق عددها على ثلاث مئة مليون شركة مؤلفة من ثلاثين سفينة كما أنها

٦٧٠ حال المسلمين وحال غيرهم من الأمم (المنار ٩-١٠)

لا تملك مصرفاً رأس ماله خمسة ملايين جنيه مثلاً .
ليس في أيدينا ما نفيس به غير الأراضي الخصبة التي ورثناها عن آبائنا .
تأتي لنا هذه الأراضي بالقمح والفلل والبن واقطن والقز والفواكه وغيرها .
ولكننا نجهل أساليب بيع هذه الفلات بيعاً راجحاً . ويذهب جزء عظيم من ربح
تلك الحاصلات من أيدينا إلى أيدي التجار الأجانب وجزء عظيم إلى شركات
تسيير السفن الأجنبية

ولا تكاد تجد تاجراً مسلماً في جميع البلدان الأميركية والأوروبية إلا في
النادر وإذا رأيت هناك تاجراً شرقياً فهو إما أرمني أو روسي أو بوذي هندي أو صيني
إذا صرفنا النظر عن التجارة الخارجية فما بالكنا لا نعمل في بلادنا أيضاً . هأنذا
أولاً نرى معظم التجارات المهمة في البلاد الألمانية والإيرانية ومصر والمغرب الأقصى
والهند بأيدي النزلاء الذين يتقاطرون إلى البلاد الإسلامية من أقطار العالم المختلفة
نحن لا نقنأ نقول : أمطرت السماء فشربتنا وأنبتت الأرض فأكلنا ولكن
ينبغي لنا أن نعرف أننا إذا عشنا على العمل بهذه القضية في الأيام الغابرة يستعجل
أن نبقى بها فيما نستقبله من الأيام

إذا فقدت أمة من الأمم استقلالها ووقفت تحت حكم الأجنبي فأنها تخسر
خسراً مائناً . بيد أن هذا الخسران لا يقام له وزن - في مذهبي - في جانب
الخسارة التي تخسرها الأمة التي تقاعدت وتواكلت ثم سقطت من مكائدها في
ميدان العمل والاقتصاد

وما هو السبب في هذه الحالة الالمية التي وقعت فيها الأمة الإسلامية ؟ ليس
لنا أن نقول : أن السبب هو الجهل : ثم نسكت ؟ أذ يرد عليه سؤال آخر وهو : وما
هو سبب الجهل ؟

إذا أغضينا عن ترقى الأمم الأفريقية ألا يجب على كل مسلم ناصح لأمته
أن يسأل : كيف ارتقى الأرمن والروم والكرج والبلغار واليهود والمندوس الذين
كانوا قبل اليوم بنصف قرن يعيشون بيننا ويشاركوننا في معظم عاداتنا وآدابنا
ونحن بقينا وراهم ننظر إليهم بعين الإعجاب ؟

(المادة ١٠-٩) استعداد العرب والترك للمدينة. اقتراح المؤتمر ٦٧١

حاشا أيها السادة عما يرثي له ولكن لا يجوز لنا البتة أن نكتبها لأن ذلك الكتمان هو عين الخطأ بل هو جناية عظيمة على نفوسنا بل يحق لنا أن نجاهر بها في كل ناد ونسعى لتشخيص الداء، حتى نصف له الدواء، هل من الرأي أن يكتم الإنسان مرضه إذا لم يكن عدو نفسه، وليست منبهة من يكتم مرضه إلا الهلاك .

إذا كنتم تنتظرون الجواب عن الأسئلة السابقة من الخطيب فهو يبادر إلى القول بأنه أعجز من أن يجيب على أمثال هذه الأسئلة العظيمة . لأنه يبحث عن الجواب ولا يجده

أيها السادة إن استعداد الأمة العربية للمدينة قد ثبت عندنا بتاريخها المتألي اللامع

وبرشدنا إلى استعداد الأمة التركية للمدينة ما تركه لنا علماءهم من المؤلفات النافذة . وأطلال مرصد سمرقند تشهد بشغف هذه الأمة بالعلم والعرفان ثم ألا يرى الفنانيين والمجريين والاقوام المتعددة ومجاورهم في كل شؤوهم . ونحن نعرف أن هاتين الامتين والترك يتفرعون من أصل واحد *

القصص أيها السادة من سرد جميع هذه الأدلة التاريخية اثبات أنه ليس منبب انحطاط العرب والترك اليوم هو نقص في فطرتهم وضعف في استعدادهم . وأما الذين الاسلامي الذي ندين به فهو دين مخاطب العقل ويبحث على العمل والدروب وينوط نجاح الانسان بعمله . ولكن سيرتنا تخالف هذه الاصول الكريمة الدينية مخالفة ظاهرة . وما السبب في هذه المخالفة أيضاً ؟

اني أرى أيها السادة أن الجواب على تلك الأسئلة المهمة وكشف النقاب عن أسباب انحطاط الأمة الإسلامية لا يتيسر تيسراً كاملاً لفرد أو فردين بل لا مندوحة للبحث في ذلك عن عقد مؤتمر اسلامي عام يجتمع فيه علماءنا وفضلاؤنا ثم يتفاوضون في الشؤون الاسلامية .

* قال الخطيب انه سقط من الخطبة ذكر الفرس والهنود وأهل الافغان وجاره المغرب والمراد ان فطرتهم قابلة للعلم والمدينة كالعرب والترك وسائر الاجناس

لا يفهم أحد اني أرمي باقتراح عقد مؤتمر على هذه الصورة الى غاية « بانسلاميزم » أي الجامعة الاسلامية التي ينشأ من الأورويون . وأما غرضي الوحيد من عقد هذا المؤتمر هو البحث عن أسباب انحطاط الامة الاسلامية وفتح أبواب النجاح في الأمور الاقتصادية والاجتماعية واختيار السبل القويمة التي نصل بنا الى أخذ نصيبنا من المدنية الغربية الحاضرة .

ولا ننكر انه كان لاكتشاف أمير كاوري في الصناعات والميكانيكات في الغرب تأثير يذكر في انقار الشعوب الاسلامية وفقدان وجوه الكسب . بيد أن العامل القوي في انحطاطنا — على ما أظن — هو الجمود على بعض المبادئ والقواعد الواهية والالهام والخرافات التي ورثناها عن آباءنا وتسربت إلينا من الأمم الأخرى بحكم الزمان . ومن أجل ذلك أبادي وأعيد ان حاجتنا شديدة الى المؤتمر العام لكشف الحجب عن الحقائق

فاسمحوا لي أيها السادة والامر على ما ذكر ان أقترح عليكم عقد مؤتمر اسلامي عام لا يتطرق قط الى البحث في الأمور السياسية وتكون باب داره مفتوحة لكل أحد ممن يحبون اسماع المذاكرات وتنتشر خلاصات المناقشات في الصحف المنتشرة وأرى أن يعقد المؤتمر في عيد الفطر من السنة القادمة أو بعده . ويحسن ان ينقد هذا المؤتمر في الاستانة العلية أو في مصر المركز الثاني . ولا أرى سبباً يحملنا على عقد هذا المؤتمر الذي يتفاوض فيه بالمسائل المدنية (*) والعلية في جنيف مثلاً

أيها السادة: اذا واقفتوني على هذا الاقتراح فلا بد من التمهيد لهذا الامر الخطير منذ الآن . فيتعم علينا من اليوم تأليف لجنة من العلماء والمتورين تشغل بهذا التمهيد مثلاً: تخبر هذه اللجنة الحكومة المحلية بجلية الامر وتضع للمؤتمر برنامجاً اجمالياً وتعين زمن انعقاد زمن المؤتمر وتقوى مراسلة من يرجعون اليها من سائر الاقطار .

(*) لعل الاصل المراد « الدينية » فهي التي لا يليق تخصيص مثل جنيف بعقد

مؤتمرها

(المنار ٩- ١٠) بحث في المؤتمر الاسلامي - تاريخ الدعوة اليه ٩٧٣

ولاريد ان هذه اللجنة تقتصر إلى قدر من المتود . ولكني لاأظن مطلقا
أن المانم يكون من الوجهة المالية
ومن منا يتمتع أيها السادة أن يتفضل على هذه اللجنة بما في استطاعته من المال ؟
هل يجيب المسلمون داعي هذا المؤتمر ؟ هذا سؤال أنا أجيب عن جزء
منه قائلا أني على ثقة من أن خمسة عشر أو عشرين مندوبا من روسيا ومن ايران
يجيبون الطلب .

أيها السادة : هذا ما أردت عرضه على حضراتكم في هذا الاجتماع . وقد
استوفتكم زمنا طويلا . فأسألكم أن تصفحوا عن هذا العاجز صفحا جميلا . اهـ



سجل بحث في المؤتمر الاسلامي

(لتعارف المسلمين والبحث عن أسباب ضعفهم وطريق علاجه وتاريخ الدعوة اليه)
أول صوت سمعناه في هذا العصر يدعو المسلمين الى التعارف والائحاد
والتعاون في الرأي والسعي على تدارك ما حل بالمسلمين من الرزايا الاجتماعية التي
هبطت بهم من ذلك الأوج الذي كانوا فيه الى الخفيض الذي صاروا اليه حتى
سبقهم أهل الملل من الكتابيين والوثنيين في المدنية هو صوت الحكيمين الفيورين
المجاهدين في سبيل الله الجهاد الذي لايفضله جهاد في هذا العصر - السيد جمال
الدين والشيوخ محمد عبده ورحمهما الله تعالى وجزاها عن نفسها وعن الامة والملة
خير الجزاء

لسيد جمال الدين مقالات كثيرة في تنبيه المسلمين من رقدتهم وإعلامهم
بأسباب تمزيق قوتهم ، ودعوتهم الى الوحدة ، ودلائلهم على وسائل القوة ، وله من
الهموس والخطب والمهاورات في ذلك ما هو مشهور بين المارفين ، وإن لم يقيد بالتدوين ،
ولما اجتمع الشيوخان في باريس وأصدر احدى « العروة الوثقى » كان قطب سياستهما
دعوة علماء المسلمين وعقلائهم الى النظر في أحوال المسلمين العامة وإرشادهم الى

٦٧٤ فصوص من العروة الوثقى في الدعوة إلى مؤتمر إسلامي (المنار ٩-١٠)

ما ينهض بهم إلى مجارة الأم العريضة وكان من رأيها أن يشتغل بذلك أهل كل قطر في قطرهم بالتعاون بينهم وإن يكون لهم مجتمع عام في الحجاز بأمر فيه من يحضر الموسم من أعضاء جمعية العروة الوثقى فيما بينهم وما كانا يكتفيان في هذا الإرشاد بما ينشر في جريدة العروة الوثقى بل كانا يكاتبان من برزوه أهلاً لذلك في أقطار المسلمين . وفي الجزء الثاني من تاريخ الأستاذ الامام نموذج من كتبه لبعض أولئك الأعضاء (راجع ص ٤٨٨ - ٥١٢)

وقد جاء في قائمة العدد الأول من جريدة العروة الوثقى بعد ذكر تنبيه عقلاء المسلمين وسعيهم في معالجة طلبهم مانصه :

« وبما أن مكة المكرمة مبعث الدين ، ومناط اليقين ، وفيها موسم الحجيج العام في كل عام ، يجتمع إليه الشرقي والغربي ، ويتآخى في مواقعها الطاهرة الجليل والحقير ، والفني والفقير ، كانت أفضل مدينة تتوارد إليها أفكارهم ، ثم تنبث إلى سائر الجهات والله يهدي من يشاء إلى سواء السبيل »

وجاء في خانة مقالة نشرت في العدد الخامس عنوانها (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) إرشاد إلى كيفية الوحدة في الإصلاح الديني ومنه « ويحملون لهم مراكز في أقطار مختلفة يرجعون إليها في شؤون وحدتهم ويأخذون بأيدي العامة إلى حيث يرشدهم التزليل وصحيح الأثر ويجمعون أطراف الوشائج إلى معقد واحد يكون مركزه الأقطار المقدسة وأشرفها معهد بيت الله الحرام حتى يتمكنوا بذلك من شد أزر الدين وحفظه من قوارع العدوان » الخ (فراجع في ص ٢٥٤ من الجزء الثاني من تاريخ الأستاذ الامام)

وجاء في آخر مقالة منها نشرت في العدد العاشر عنوانها حديث « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » ما يؤتي (كما في ص ٢٩ من الجزء الثاني من تاريخ الأستاذ الامام)

« وأرى أن العلماء العاملين لو وجهوا فكرتهم لا يصل أصوات بعض المسلمين إلى بعض لأمكنهم أن يجمعوا بين أهوائهم في أقرب وقت وليس بعسير عليهم ذلك بعد ما اختص الله من بقاع الأرض بيته الحرام بالاحترام وفرض على كل

(المنار ٩-١٠) المؤتمر كناية المنار ثم الكواكب في موضوعه ٦٧٥

مسلم ان يحجه ما استطاع وفي تلك البقعة يحشر الله من جميع اجيال المسلمين وعشائرم وأجناسهم الخ
هذه إشارة مما كتبه الاستاذ الامام ، باتفاق الرأي بينه وبين حكيم الاسلام، منذ ربع قرن فان العدد الاول من العروة الوثقى قد صدر في ٥ جادى الاولى سنة ١٣٠١



ثم اتنا لما أنشأنا المنار في أواخر سنة ١٣١٥ كتبنا في العدد اثلاثين و ٤٠ من السنة الاولى مقالاني (الإصلاح الديني) اقترحنا فيها على مقام الخلافة تأليف جمعية اسلامية في مكة المكرمة يكون لها شعب في كل قطر اسلامي ونصلنا ما يجب ان تقوم به هذه الجمعية من الإصلاح في العقائد والتعاليم الأدبية والأحكام القضائية والمدنية واللغة ومن تلامي البدع والتعاليم الناسدة (٥)
وانما جعلنا هذا الإصلاح مقترحاً على سلطان آل عثمان لبيان انه واجب عليه لأنه هو القادر على تنفيذ ذلك ويمنع من ينصدي له هناك من دونه
ثم ان السيد عبد الرحمن الكواكبي (رحمه الله تعالى) قدم الى مصر في سنة ١٣١٨ ونشر فيها كتاب سجل جمعية أم القرى الذي صور فيه انعقاد تلك الجمعية المقترحة خفية بدون علم الحكومة العثمانية وأمير مكة المكرمة (الشريف) وان ذلك كان في موسم سنة ١٣١٦

كل ذلك كان الإصلاح الديني فيه ممزوجاً بالإصلاح السياسي على النهج الذي جرى عليه المسلمون من اشمال الدين على كل شيء وكذلك كانت فكرة المقترح الأول السيد جمال الدين رحمه الله تعالى

ثم ان الاستاذ الامام وجه ذهنه بعد مفارقة السيد جمال الدين في أوروبا وعودته هو الى سوريا ثم الى مصر يحاول الوصول الى إصلاح حال المسلمين باقتناع الحكومة بسلوك الطريقة المثلى لتربية المسلمين وتعليمهم فكتب ثلاث

(٥) قد مرق المرحوم ابراهيم بك نجيب من هذا المقال وغيره من فضول المنار ماشاء وأودعه مقالاته التي كان ينشرها في جريدة اللواء تحت عنوان (حياة الاسلام)

لوائح (٥) احداها لاصلاح المملكة العثمانية عامة وقدمها الى شيخ الاسلام في الاسكندرية سنة ١٣٠٤ ليقدمها الى السلطان والثانية لاصلاح سوريا وقدمها الى واليها بعد ارسال الاولى الى الاسكندرية . والثالثة لاصلاح التربية الدينية والتعليم في مصر ولم تعمل الحكومة العثمانية ولا المصرية بما اقترحه عليهما ولو عملت احداها به لعلت ما يصجز عن كل مثله جمعية ومؤتمر لاصلاح الدين

ثم رأينا الاستاذ الامام في السنين الأخيرة من عمره قد استقر رأيه على اليأس من حكم المسلمين وحصر الرجاء في عقلاء أهل العلم والفضل يدعون الى الإصلاح حيث يجدون حرية مع تجنب السياسة ظاهرا وباطنا ومسألة أهل السلطة سرا وجبرا والرضي منهم بعدم معارضة الإصلاح في العقائد والأخلاق والآداب وروابط الاجتماع الأهلية والقومية . فان عارضوا فالرأي أن يسنل الجهد في إقناعهم وكان يرى أن هذا متيسر للمصلحين العقلاء مع حكم المسلمين الأوربيين اذا ظهر لهمؤلاء أن الأمر لا سياسة فيه . ومن الأمثال المأثورة عنه « ما دخلت السياسة في عمل الا وأفسدته » واننا نرى عقلاء المسلمين يكادون يجمعون على هذا الرأي

جاء مصر في هذه الأيام اسماعيل بك غصبرنسكي صاحب جريدة ترجمان التركية التي تصدر في بغجه مراري من بلاد القريم التابعة لروسيا وثلا على جمهور عظيم من سكان مصر الخطبة التي نشرنا ترجمتها قبل هذه المقالة واقترح في آخرها تأليف مؤتمر إسلامي ينقذ في مصر قبح عن الاسباب التي كان بها المسلمون متأخرون عن غيرهم من الأمم واشترط أن لا تطرق مباحث باب السياسة بل تقتصر في الاسباب الاجتماعية والاقتصادية . وما هي هذه الاسباب الاجتماعية والاقتصادية؟ نحن نقول ان المسلمين كغيرهم من البشر مستعدون لكل ارتقاء وحضارة وان المانع لهم من ذلك أمران استبداد السياسية والجود على التقاليد الدينية التي قيدتهم في كل شيء حتى في تصرفهم في بيوتهم وأموالهم . واضرب لهم مثلا علماء الأزهر الذين يستكرون أشد الاستنكار لبس الأحذية السوداء المعروفة

(٥) راجع فصل اللوائح في الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام (ص ٣٨٠)

هنا بالجزم (جمع جزمة) وقضاة الشرع الذين يأبون ان يكون في المحكة الشرعية اجراس كبر باثية لطلب الكتاب والمخضرين والحدم لأن هذا وذاك عمالا يلبق بأهل الدين أولاً ولا يخلون من كراهة شرعية . فهذا المثل الصغير ، ينبي عن أمر كبير ، وان هربى به الجهلاء ، أو اشتغل به عن الموضوع أهل الأهواء ، فهو كمثل البعوضة والذباب في القرآن فالمسلمون لا يقننون على مجازاة أمة مطلقة من القيود التي قيد الفكر أن يأخذ مداه في كل علم ورأي وتقييد الإرادة أن تنفذ كل حل يظهر للمفكرين انه نافع ومفيدون فكراً وارادة إما بالتقاليد الدينية وإما بالسياسة الاستبدادية . فعلى المؤتمر محصور بالطبع في تلك القيود التي قيد المسلمين حتى يكونوا أحراراً مستقلين ، فإذا حظر أهل على أنفسهم البحث فيما هو سياسي منها بقي لهم ما هو ديني فقط ومنه ما يتعلق بحكائهم ومنه ما لا يتعلق بهم

مثال ذلك الشركات المالية التي هي أعظم أو كان الثروة في هذا العصر ولا أذكر فيها مسألة فرضية بل مسألة واقعة هي في تاريخ مصر الحديث أصل الانقلاب السياسي والعمراني ، ولا أفقات على المسلمين فيما أقوله فيها اقتياتاً ، أو استنبط خلاصهم فيها استنباطاً ، وأما أروي فيها رواية تنبي عما عليه المسلمون من القيود التي تمنعهم من مجازاة غيرهم في تحصيل الثروة التي هي أساس العمران

زرت وزير مصر الأ كبير رياض باشا فأنفبت في حضرته جماعة من أكابر المسلمين منهم العالم الأزهرى والمهندس والمورخ والطبيب ومن كان ناظراً لبعض المدارس العليا وكل واحد منهم يعد من أكبر رجال طبقة وأعلمهم وهم يتذاكرون في مسألة شركة رعة السويس وأن شراء أسهمها غير جائز شرعاً لأن عملها غير مشروع وكان أشدم عارضة في ذلك العلامة الأزهرى (طبياً) ولا أحب أن أذكر شيئاً من أدلتهم المبني بعضها على ان الماء لا يملك وان أوراق السهام لا قيمة لها في نفسها الخ وما عجبت لقول أحد كمجبي من موافقة واحد منهم لهم في ذلك أعهد منه الميل الى كسر مقاطر التقليد ورأيت في هذه السنة يسمى في تأسيس بنك أهلي وهو أشد من أعرف اهتماماً بمشروع المؤتمر الاسلامي . وقد جهزت هناك باستغراب جعل هذه المسألة موضعاً للبحث وجزمت بمجواز عمل الشركة

٩٧٨ التقليد بجمل أحكام المعاملات في الفقه ديننا (المآثر ٩ - ١٠)

وشرء سهامها مصرحاً بأن أوراق السهام ليست هي التي تقابل الثمن وإنما هي مثل أوراق الصكوك والحجج التي تكتب لمن يشتري عقاراً أو يقرض آخر مالا . جهرت بهذا ولكنني لم أسمع من أحد كلمة موافقة ولكنني أظن أنه أعجب بمضى الحاضرين ورأيت الوزير هش هـ

فإذا كان أرقى مسلمي مصر الذين يعدون الآن في مقدمة شعوب المسلمين علماً وقرباً من المدينة يتباحثون حتى اليوم في أعلى محافلهم الاجتماعية في شركة ترعة السويس ويقولون بعدم جواز شراء سهامها وهي هي السهام التي براها ورأشها أميرهم اسماعيل وأعطاهم لا وروبا فخار بنهم بها واحتلت بلادهم وملكت عليهم أمرها، فهل يلام مسلمو مراكش إذا قال عالمهم الكتاني إن شر عمل عمله محمد علي باشا هو بناء القناطر الخيرية وكان ينبغي أن ينفق المال الذي أضاعه في بناءها على بناء المساجد ؟ كلا ان عل المسلمين واحدة ولو كان محمد علي مقيدا بالتقاليد الدينية لما أنشأ القناطر الخيرية

ان شركة ترعة السويس وأمثالها من أمور العمران التي لم تكن معروفة في عصر التنزيل فيرد فيها كتاب أو تمضي بها سنة ولكن الفقهاء المستقدمين قد وضعوا أحكاماً للشركات وغيرها من المعاملات المتعارف عليها في عصرهم فجهد المستأخرون عليها اذ عدوها ديناً يجب اتباعه في كل زمان ومكان فهل يسهل على المسلمين الذين يريدون مجازاة الأوربيين في الكسب ان يدرسوا قبل كل عمل هذه الكتب الفقهية الضيقة الواسعة ويتقيدوا بها ثم يجرون وراء المطلقين من القيود فيلحقون بهم ويظلمون في مسابقتهم ؟ لا يسهل الجواب عن هذا على فقيه يعرف الاحكام المدونة في هذه الكتب ولا يعرف حال العصر في الاعمال المالية والاجتماعية ، ولا على رجل مالي أو « ممدن » كما يقال لم يقرأ كتب الفقه ، وإنما يسهل على من عرف الامر ان يجيب عنه بحق ولكن جوابه لا يكون الا سلباً

أعرف بمصر كثيراً من المسلمين المدينين يرون انه لا علاج لتأخر المسلمين عامة الا نشر العلوم المصرية ومحاولة تميمها بقدر الطاقة وترك الدين وشأنه بحيث لا يتعلم ولا يدافع عنه ولا يتعرض عليه حتى يحكم العلم والزمان فيه حكمها ومن

هو لاء من هو مسلم جنسية فقط يرى ان الدين عقبة يزيلها العلم ومنهم من يؤمن بالله ورسوله وكتابه ويرى ان الدين قد اصطبغ بغير الصبغة التي أنزلها الله تعالى وان العلم المصري ينزعه من سلطة المحافظين على الصبغة الحادثة ويساعد على إعادته الى أصله فإذا قام مصلح ديني يمكنه ان يهدي المتعلمين للعلوم المصرية الى حقيقة الاسلام ولا يمكنه أن يهدي غيرهم من علماء الصبغة الحديثة للدين والمقلدين لهم وهم جماهير العوام الا أن يتعدوا على الطريقة الحديثة

ونحن نقول انه يمكن الجمع ابتداء بين حقيقة الاسلام وصبغته الإلهية وبين جميع العلوم والفنون والاعمال التي عليها مدار المدنية المصرية وان إصلاح حال المسلمين بغير هذه الطريقة متعذر ونحن مستعدون بعون الله تعالى وتوفيقه لمناظرة كل من يخالفنا في هذا الرأي

وجهة القول ان المسلمين لا يجارون غيرهم من الامم في ميدان المدنية والعمران لا اذا أطلقوا من القيود السياسية والدينية التي قيدت استعدادهم الفطري وليس في نصوص كتاب الله المنزل ولا في سنة رسوله المتبعة القطعية شيء من هذه القيود الدينية بل فيهما الاطلاق المكل لفطرة وإنما القيود قسبان بدع محدثة وتقاليد مستنبطة من أقوال البشر وقواعدهم تعرف بالاحكام الاجتهادية

فإذا حظر المؤتمر على نفسه البحث في القيود السياسية انحصر عمله في القيود الدينية أي التقاليد والبدع التي فشّت في المسلمين باسم الدين الا ان يكون غرض أهله الرقي الديني بدون دين

وإذا انحصر عمله في حل القيود الدينية دون السياسية خشية أن تقاوم المسلمين حكومات أوروبا المستعمرة لبلا دم فيجب أن لا يدخل في أعضائه أحد من المشتغلين بالسياسة لتأييد ملك أو أمير لأن ذلك يجعل المؤتمر في موضع الريية والظنة عند تلك الحكومات ولذلك صرح الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد علي مسمع من نحو خمسين رجلاً ممن دعوا للبحث في المؤتمر بأن من مصلحة المشروع ان يخرج هو وحافظ أفندي عوض أحد صاحبي جريدة المنبر ونفر آخرون من لجنة المؤتمر فلا يكونوا من الاعضاء العاملين فيه

ثم أنه ينبغي أن تكون القاعدة الأساسية الأولى للإصلاح الديني في المؤتمر هي المحافظة على المجتمع عليه من المسلمين لأسباب ما كان منه معلوماً من الدين بالضرورة وذلك هو القرآن وما استفيد منه بالنص القطعي وبعض السنن المتبعة - ونفي بالسنة معناها القنوي الذي كان فيها الصحابة ومنه ما هو فرض أو واجب ككون الصلوات المفروضة خمسين ركعات كل صلاة منها كذا يقرأ فيها كذا ويركع في كل ركعة مرة ويسجد مرتين، ومنها ما هو مندوب في اصطلاح الفقهاء كما هو معروف - ذلك أن المؤتمرة عام لجميع المسلمين وفيهم السني والسلفي وغير السلفي والشيبي والاباضي ومن السنية الحنفي والمالكي الخ ومن الشيعة الجعفري والزيدي فالذي يجمع بين هؤلاء ويوحد كلمتهم هو كتاب الله والسنن العملية المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم بالتلقي عن آله وأصحابه رضي الله عنهم وبذلك يكون المؤتمرة غير مقيد بالتقاليد الاجتهادية التي تثير النزاع وتفرق الكلمة فلا يمنع أعضائه مانع من الاعتصام بجمل الدعوة سائر المسلمين إلى الاعتصام به (راجع التفسير من هذا الجزء وما قبله)

ثم يرض ما يقرره من الإصلاح الاجتماعي الموافق للاجماع على شعوب المسلمين مبنياً لهم أن من عمل به لم يكن عمله منافياً لأصل الاسلام الذي لا خلاف فيه فمن اكتفى بذلك وعمل به فيها ونعمت ومن حاول تطبيقه على المسائل الاجتهادية في مذهبه وقيد بها فهو وشأنه

بهذه الطريقة يفيد المؤتمرة المسلمين أكبر فائدة دينية بما يعلمهم من الأصول المتفق عليها بين المسلمين التي بها يكون المسلم مسلماً أخاً في الدين ثلاث مئة مليون يوافقونه في اعتقاده وأكثر المسلمين يجهل ذلك بالتفصيل ولا يكون جانياً على مذهب أحد ولا حائلاً بينه وبين عالم يتقلد رأيه ولكنه يطمح إذا كان متبعاً لمذهب أن ما يتفرد به في مذهبه لا ينافي أخوة الاسلام بينه وبين من لا يتبع مذهبه يتيسر هذا المسلك لأعضاء المؤتمرة إلا إذا كان فيهم العلماء بالكتاب والسنة وناد يخ الاسلام والعلماء بشؤون العصر وما تقتضيه المدنية من العلوم والفنون والاعمال بحيث يكون عند علماء الدين من علوم الدنيا وعند علماء الدنيا من العلم بالدين

ما يمكن الفريقين من الاتفاق على الجمع بين الدنيا والدنيا كما تقتضيه مزية الاسلام الذي هو الدين الموافق لمصلحة البشر في كل زمان ومكان

يقول بعض الباحثين في مسألة المؤتمر انه يجب ان يكون في أعضائه بعض الشيوخ من علماء الرسوم المقلدين للمذاهب الأربعة ليشق بما يقرره عوام المسلمين؛ ويرد عليهم آخرون قائلين ان الاصلاح لا يأتي من العوام وانما يأتي من خواص القلاء وان هؤلاء المقلدين اذا وجدوا في المؤتمر محافظين على تقاليدهم فهم الذين يحولون دون الاستفادة منه ومن بهم إدارة العوام لا يأتي منه اصلاح اذ يكون العوام حينئذ أعمى له في الحقيقة وان كان يتوهم انه سيؤمهم بالحيلة فالمصلح الحقيقي هو الذي لا يخاف في بيان الحق لومة لائم ولا نفور عاوي ولا مقاومة خاصي بل يقرر الحق ويدعو أمثاله من العارفين الى موازرتة وموالاته والحق يعلم ولا يعلى وانما بقاء الباطل في غفلة الحق عنه

ذلك قال عاقل من العظماء اتى لا فهم معنى « مؤتمر اسلامي » يتصدى للقيام به من لم يبحث في عمره يوما واحدا عن الاصلاح الديني ولا عن أسباب مآل بالمسلمين وانما يكون انشاء المؤتمر معقولا اذا تصدى للدعوة اليه من جعلوا حل مهم البحث عن أحوال المسلمين في ماضيهم وحاضرهم وأسباب ما عرض لهم في دينهم بما ليس منه كفلان وفلان فهم الذين يجب ان يختاروا من يرونه اهلا لأمثال هذه المباحث ويقول بعض أهل البحث والرأي أن الشعوب الاسلامية لما تستعمل هذا المؤتمر فهو غير ممكن الآن من حيث طبيعة الاجتماع وان كان ممكنا في نظر العقل يعني أن الاصلاح المطلوب يرجع الى مسائل يقل العارفون بها في بعض الاقطار ويمز اجتماعهم واجتماع غيرهم لا يفيد المطلوب . واذا اتفق أن اجتماعا فلا بد أن يمتزجوا بغيرهم ممن لا يوافقهم على رأيهم فاذا كان لديهم من الشجاعة ما يحملهم على الجهر بالحق بطموته غير مباينين بطعن الطاعنين فلا يرى أن يتقرر ما يرونه ودر بما تقرر رفضه وإعلان مخالفته للدين فيكون ذلك مبعدا للاصلاح وعقبة في طريقه يقيها المؤتمر فينمكس الأمر ويتبدل الوضع ويكون المؤتمر ضارا لا نافعا ويقول آخرون ان أقل فائدة يجنيها المسلمون من المؤتمر وراء تعارف أهل الفضل والرأي منهم هو ان ما يتفقون عليه يكون جديرا بالقبول ولا يمكن أن يشفقوا

(العدد ٩) (٨٦) (المجلد العاشر)

كلهم أو أكثرهم على شيء ضارّ فاذا لم يهتدوا الى كل المطلوب من الاصلاح فلا بد أن يهتدوا الى بعضه وما يفوتهم منه في الاجتماع الأول يرجى أن يهتدوا اليه في الاجتماعات التي تليه وأمر الاصلاح لا تكون الا بالتدرّج . ولكن هذا يتوقف على أن يقوم بالأمر أهله

ومن الناس من يرى أن اجتماع المؤتمر يتوقف على اذن الحكومة ومساعدتها ولذلك اقترح داعيته اسماعيل بك فيما اقترح استثنائها وماضيه من اجابة طائفة من الروسيين والايروانيين مبني ذلك والحكومة المصرية لا تأذن بهذا المؤتمر ولا تساعد القائمين به لاسيما اذا كان فيهم من يشغل بالسياسة ومن يتهم بالقرص لأنه ممن لم يعرف عنه قط البحث في أمور الدين وطرق اصلاح المسلمين كبعض المعزولين والمتقاعدین (المحالين على العاش) واذا لم تأذن به الحكومة إذن اذنا رسميا فان سائر الحكومات لا تأذن لمن يدعون اليه بالسفر لحضوره ، وأهل الرأي والفضل لا يسافرون لمثل هذا الأمر بدون إذن حكوماتهم لئلا يكونوا عندها في موضع التهمة ويقول آخرون ان هذا مؤتمر حر لا يتوقف على اذن الحكومة ولا على مساعدتها وانما اذنها ومساعدتها مزبد كمال فيه اما اذا أرادت منه فلا شك في قدرتها على ذلك ولكنه مما لا يظن فيها اللهم الا اذا حصل في الاجتماع شغب أو فتن مما يمنع مثله كل حكومة مهما كانت عريقة في الحرية

أما سلطان المسلمين الأعظم فلم أر أحدا من أهل الرأي يشك في استيانه من هذا المؤتمر وحرصه على منعه اذا أمكن . وقد جاء من أخبار الاستانة في بعض الجرائد ما يؤيد هذه الآراء وأن السلطان سيكتب الى الأمير والمعتد الخاص (مختار باشا النازي) بتلاني ذلك . وأنه أمر بمنع الحجاج بالتعريض على مصر . ويؤمن بعض الناس أن الأمير كوتب في ذلك بالفعل . وكراهة السلطان للمؤتمر مما يجعله عند كثير من المسلمين مكروها يخشى ضره ولا يرجى نفسه ويحول دون نشر الجرائد العثمانية شيئا من أخباره قبل انعقاده به ما يقرره ان هو انقذ . فلا معنى لجعله تحت حمايته

هذا أهم ما خطر لنا يانه الآن من فكرة الدعوة الى مؤتمر اسلامي وتاريخها وما يجب أن يكون أساس المؤتمر المقترح الآن والآراء التي تستحق الاعتبار فيه .

﴿ النسخ في الشرائع الإلهية ﴾

للدكتور محمد توفيق أفندي صديقي الطبيب في مستشفيات سجن طره

النسخ هو ابطال حكم لبدل أو لغير بدل . وهو واقع في جميع الشرائع الإلهية والوضعية خلافا لمن أنكر ذلك من الجهلاء . أما الشرائع الوضعية فوقع فيها مشاهد معروف . وأما الإلهية فشاهد وقوعه فيها عديدة أغنتنا عن إيرادها مؤلفات كثيرة بين الأئمة الإسلامية أشهرها كتاب (إظهار الحق) لمؤلفه العلامة المحقق رحمة الله الهندي . فقد أتى فيه بما يفهم كل مكابر ويخرس كل عنيد .

يقع النسخ على ضربين ١ نسخ بعض شريعة رسول سابق بشريعة آخر لاحق (٢) ونسخ حكم في شريعة بحكم آخر فيها . والسبب في وقوعه اختلاف حال المكلفين باختلاف الزمان والمكان . فما يلائم البشر في زمن طفولتهم قد لا يلائمهم في زمن نهمهم أو شيخوختهم . كما أن ما يوافق الإنسان في صحته قد لا يوافقه في زمن مرضه . لذلك اقتضت حكمة الشارع العالم أن ينسخ من شرائعه ما أصبح غير مناسب . قال تعالى (٢٨: ١٣) لكل أجل كتاب ٢٩ بحول الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)

فالنسخ عندنا لا يقع إلا في الأحكام (الأوامر والنواهي) ولا يقع في القصص أو في القضايا العقلية إذ لا معنى لوقوعه في ذلك كما أنه لا معنى لوقوعه في الالفاظ . فلنأمن بسلم القول بنسخ لفظ بلفظ كما يتوهمون . أو بنسخ لفظ وإبقاء حكمه كما يزعمون إذ لو سلم ذلك لكان دليلا على جهل الشارع أو خطاه أو عبثه نسباً حان ربك واسع العلم والحكمة عما يصفون

قدما ذلك نعلم أن النسخ يقتض أو الحكمة لا عيب فيه عند العقل ، وهو واقع بالفعل ، فانكاره جهل ، أو مكابرة للمحسوس

كما وقع النسخ في الشرائع السابقة ، كذلك وقع في الشريعة الإسلامية ، مقتضيات الأحوال في الأمة العربية زمن التشريع . فكان للشريعة إذ ذاك صورتان:

(١) صورة تمهيدية وقتية

٦٨٤ الاحتجاج على ان القرآن لا منسوخ فيه (المرار ٩-١٠)

(٢) وصورة ثابتة باقية

فالصورة الاولى هي التي صارت منسوخة لا يعمل بها . والصورة الثانية هي التي لم تنسخ وطولب الناس أجمعون بالعمل بها . أما الصورة الاولى فوجد لها أمثلة عديدة في الاحاديث النبوية . وأما الصورة الثانية فأمثلتها كثيرة في الكتاب (القرآن الشريف) .

وإذا قنشنا الاحاديث المنسوخة وجدنا بعضها نسخ بأحاديث مثلها والبعض الآخر نسخ بالقرآن . وإذا قنشنا القرآن لا نجد فيه ما نسخ بقرآن مثله ولا ما نسخ بحديث كما بينا ذلك في مقالة لنا نشرت سابقا في المنار (في الجزء الثاني من المجلد التاسع صحيفة ١١٠) . فالقرآن لا يجوز أن ينسخ بالسنة ولو كانت متواترة وبه قال الامام الشافعي رضي الله عنه وليس فيه منسوخ مطلقا كما قال بعض أئمة المفسرين كأبي مسلم الأصفهاني . وكما دل على ذلك الاستقراء والدليل

الكلام في النسخ والمنسوخ في الشريعة الاسلامية نشأ بين المسلمين منذ نشوءها إذ لا يمكن الاستغناء عن البحث فيه بعد معرفة وقوعه فيها . فكان إذا سمع أحد الصحابة حكما وعلم ما يخالفه بحث في أيهما نسخ الآخر حتى يتضح له ما يجب العمل به فلا غرابة إذا سمعنا فيما روي عنهم أن فلانا منهم قال ان هذا الحكم منسوخ بذلك

وقد نثر في الروايات على قول من يقول بخلاف قوله وقد لا نثر . ولكن جميع هذه الروايات لا يمكن القطع بصحتها وخصوصا ما كان منها واردا في تفسير القرآن الشريف لكثرة المكذوب منها حتى قال أحد الأئمة وهو الامام أحمد « ثلاثة لأصل لها التفسير والملاحم والمغازي » ولا ينبغي على أحد قدرا أحد في علم الحديث . ولذلك لا يمكننا معرفة رأي الصحابة في موضوع النسخ في القرآن على سبيل اليقين . وغاية ما يظفر لنا من الآثار المختلفة على علائها أن بعضهم يقول بجواز وقوع النسخ فيه كعمر وابن عباس . والبعض الآخر كأبي بن كعب ينكر ذلك « أو على الأقل ينكر جواز نسخ أي عبارة من عبارات القرآن الشريف » ان سلم نسخ حكما « راجع ما قلناه في المقالة السابقة . على أن رأي أي واحد منهم

لا يجوز الأخذ به بدون دليل .

والذي نراه نحن أن العقل لا يستتبع وقوع النسخ في القرآن الشريف إذا كان القرآن يبين لنا نصاً جميع ما نسخ وجميع ما لم ينسخ . أو أن رسول الله صلى عليه وسلم يبين ذلك بياناً يقتل متواتراً ويتفق عليه محلاً بين المسلمين . وإذا لم يكن هذا ولا ذلك فالقائل بالنسخ يعرض الدين لطمع الطاعين واستهزاء الهازئين، وعبت اللاعبيين، الذين جعلوا القرآن عضين، فيعملون ببعضه ويتركون بعضه الآخر اتباعاً لأوهامهم وأهوائهم فما جزاء من يفعل ذلك منهم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما يعملون ومن العجيب دعواهم النسخ في الآيات . مع عجزهم عن بيان الحكمة في نسخها وليس عندهم من دليل عليه عقلي أو قلبي . والله تعالى يقول في شأن القرآن (٢٧: ١٨) لا تبدل لكلماته ولن نجد من دونه ملتحداً) فلا يجوز أن يبدله الله بعد وعده بعدم تبديله إذ التمرة « أي لفظ مبدل » في سياق النبي تم

يقول المحققون منهم « إن النسخ خلاف الأصل ومنى أمكن التفسير بدونه رجب المصير إلى ذلك التفسير » وأي آية في القرآن لا يمكن تفسيرها بدون هذه الدعوى الباطلة ؟ فهذا إقرار عظيم بأن القرآن لا نسخ فيه حيث إنه يمكن تفسير جميعه بلا حاجة إلى ما يزعمون . وكيف ينسخ وهو لا يجوز التبديل فيه ؟ وإذا كان القرآن (١) لم ينص على الآيات المنسوخة (٢) ولم يرد عن رسول الله نص قاطع بذلك (٣) وما روي عن أصحابه مختلفاً وغير يقيني (٤) ولم يتفق المسلمون على الآيات المنسوخة بل ولا على القول بالنسخ (٥) وإذا كان لا حاجة إليه في التفسير (٦) ولا حكمة تظهر فيه إذا كان كل ذلك فبأي شيء يمسكون ؟ أما قوله تعالى (١٠٦: ٢) ما ننسخ من آية أو ننسها) وقوله (١٠١: ١٦) وإذا بدلنا آية مكان آية) فقد فسرناها في المقالة السابقة بما يشفي العلة وبروي العلة . ونزيد الآن على التفسير أن الآية الثانية هي من سورة النحل . وقد نزلت هذه السورة قبل إيجاب القتال على المؤمنين أي في مدة أو في أوائل مدة المدينة (٧) كما ندل على

(٥) الظاهر أنها نزلت قبل السنة الثانية من الهجرة أي قبل إتيان النبي بأحكام الشريعة

ذلك الروايات الكثيرة وكذا قوله تعالى فيها (١٦: ٤١) والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبؤتهم في الدنيا حسنة ولا جراً لآخره أكبر لو كانوا يعلمون ٤٢ الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) وقوله في آخرها (١٦: ١٢٦) وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خبير للصابرين ١٢٧ واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون) وإذا كان نزولها في مكة فالمراد بالمهجرة في الآية السابقة هجرة الحبشة . وعلى كل حال إذا كان نزولها في مكة أو في أول مدة المدينة فأني حكم من أحكام الشريعة الإسلامية كان نزل في تلك المدة ثم نسخ حتى يرد فيها قوله تعالى (وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مقتدر) ؟ الظاهر أن القول بأنه مقتدر إنما صدر من أهل الكتاب الموجودين بالمدينة أو القليل منهم الموجود بمكة حينما سمعوا أن محمداً صلى الله عليه وسلم يحل ما حرمة الشريعة الموسوية من المطعومات كما في سورة الانعام المكية الذي ورد فيها قوله تعالى (٦: ١٤٥) قل لا أجد فيما أوحى إليّ محرماً على طاعم بطعمه إلا أن يكون ميتة - إلى قوله - ١٤٦ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها إلا ما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بغضظ ذلك جزيناهم بغيرهم وإنما الصادقون ١٤٧ فإن كذبوك قل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين) وقد أشار تعالى في سورة النحل إلى هذه الآيات بقوله (١٦: ١١٨) وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) بعد الآية التي نحن بصدد الكلام عليها بقليل وقد كذبوه كما أخبر فما ذكرناه هنا وهناك يدل على أن تفسير الآية هكذا : وإذا أتينا بحكم في الشريعة الإسلامية بدل حكم في الشرائع السابقة ووضفناه مكانه قالوا إنما أنت كذاب تختلق الأحكام وتنسبها إلى الله : إلى آخر الآيات . أما تفسير هذه الآية وآية ما نفي ما نفي فهو بخلاف السياق في كل منهما . وينافي قوله تعالى (١٨: ٢٧) أتلى ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته) الآية والخلاصة أن القرآن لا نسخ فيه مطلقاً . أما السنة القولية (الأحاديث) فبعضها نسخ بالقرآن وبعضها الآخر نسخ بالأحاديث الأخرى . وعندما أنه لم يبق منها شيء : يجب العمل به غير موجود في القرآن لأنها لم تكن الاثرية وثنية

تمهيدية لشرعية القرآن الثابتة الباقية ولذلك كانت قولية نهيت الصحابة عن كتابتها ولم يعاملها النبي عليه السلام ولا أصحابه بالعناية التي عومل بها القرآن لتناول من بين المسلمين وتندر (*) فلا يعملون بها كما بينا ذلك في مقالات لنا سبقت في المنار. وان أنكر علينا منكر ونسبنا للمروق فلنا له :-

(١) اذا كان نسخ القرآن بالسنة غير جائز كما هو مذهب الشافعي (٢) واذا كان تخصيص عموم القرآن بها لا يجوز كما هو مذهب داود وأهل الظاهر والخوارج (٣) واذا كان العمل بالظن مذموماً في القرآن الشريف . وكل ما ورد فيها من الأحكام ظني باجتماع علماء الحديث لأنها أخبار آحاد - اذا كان كل ذلك مسلماً به بين المسلمين بعضهم أو جميعهم فأي شيء خالف في الاجماع أو ابتدعه حتى أرى بالمروق ١٩

أنا لا أنكر ما للأحاديث من الفوائد الملحة والتاريخية أو الفقهية أو الادبية ولكن كل ذلك لا يوجب العمل بها على المسلمين ولا يلحقها بالقرآن الشريف . الدين الذي يكفر منكروه شيئاً : القرآن وما تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم . لأن انكار المتواتر مكابرة وجحود فلا يجب التعويل إلا عليهما . ولا الرجوع إلا إليهما (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) والرد الى الله يكون بالرجوع الى كتابه . والى الرسول بالرجوع اليه في حياته أو الى ما أيقنا أنه منه بعد وفاته . ولم يقل القرآن الى من ظنتموه الرسول أو ما حسبتموه صدر منه . فلا يمكن الايقان الا بالتواتر أو بالدليل العقلي

لم يتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم من أقواله الا القليل الذي لا شيء فيه من أحكام الدين لأن الله أراد أن تكون سنن الأقوال شريعة زائلة . أما سنن الاعمال المتواترة فقد أراد الله أن تبقى بين المسلمين . لا يوضح الكتاب ولتصوير ما أراد به بالفعل ككيفية الصلاة والحج . لأن الايضاح بالعمل أبلغ من كل قول . ولذلك أجل القرآن الكلام في هاتين المسألتين اكتفاء بعمل النبي صلى الله عليه

(*) حاشية الكاتب - لا يرد على ذلك وجود الأحاديث الكثيرة بينهم لأنها

كلها تقريباً مشكوك فيها

وسلم لما بين جماهير الناس الذين يؤمن تواطؤهم على الكذب . - وهما مما يحسن
إتيانه في الجماعة . بل لا يصح اتیان أحدهما (أي الحج) الا فيها . فلا خوف
عليهما من الضياع أو النسيان . ولا يجوز أن يتفق المسلمون على تحريفهما عن وضعهما
فقد بلغنا والله الحمد من التواتر ما يمنع كل ذلك .

الحق أقول لا يمكن للمسلمين أن يرتقوا ماداموا جامدين على الأحاديث ،
(وقد انقضى زمنها) كلفين بالروايات ، وهي ممتلئة بالأكاذيب والأوهام والخرافات .
وهي أعظم سبب ضلال كل أمة في عملها واعتقادها

ألا فلنحارب الترهات ، ولنقضي على الضلالات ، ولنمت على ديننا : كتاب
الله وما بين منه بالسنة العملية المتواترة ، فلا نبها الا بهما في الدنيا والآخرة ،

(تذييل) ذكرنا في الصفحة ٩١٣ من المجلد التاسع من المنار ملخص معاملة النبي صلى الله
عليه وسلم وأصحابه للأحاديث . ونذكر الآن ملخص آراء أئمة المسلمين فيها
ليعلم القارئون أننا لم نفنجر شيئاً في الدين فنقول : -

إن الأحاديث التي رويت متواترة لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة وهي
مع ذلك لا دخل لها في أحكام الشريعة الإسلامية كحديث « أنزل القرآن على
سبعة أحرف » وحديث « اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم فن كذب عليّ
منعمدا فليتبوا مقصده من النار » وسائر الأحاديث الأخرى رويت آحاداً .
وبعضها عندهم منسوخ . وأما التي لم يقولوا بنسخها فهاك آراءهم فيها : -

(١) رفض أبو حنيفة مع قرب من زمن الرسول (ولد سنة ٨٠ وتوفي سنة ١٥٠)
جميع الأحاديث لعدم صحتها عنده الا بضعة عشر حديثاً (راجع كتاب روح
الاسلام) . وعول هو واتباعه في مذهبه على الكتاب والقياس فقد موها على الحديث
(٢) قدم مالك رضي الله عنه عمل أهل المدينة على الحديث . والسنة عند السلف
هي الطريقة المتبعة عملاً لا الأحاديث

(٣) أنكر الشافعي جواز نسخ القرآن بالأحاديث ولو كانت متواترة

(٤) أنكر الامام أحمد صحة الأحاديث التي رويت في تفسير القرآن الحكيم

(٥) قالت الظاهرية إنه لا يجوز تخصيص عموم القرآن بها . وإن العمل بها غير

(المنار ٩-١٠) خطبة اسماعيل عاصم في الاحتفال بالمنار ٦٨٩

واجب مطلقاً بل هو مذموم ظنية والعمل بالظن مذموم في القرآن الشريف
(٦) رأي المحققين من علماء المسلمين أنه لا يجوز الأخذ بها في العقائد،
فهذه هي آراؤهم فيها كما في كتب الأصول . فأي شيء ابتدعته أو اقتصرته
أو خالفت فيه الإجماع إذا كان ما ذكرت هو حكماً عند أئمة المسلمين . فليتروا
المنصفون، وليتدبر العاقلون ، (وذَكَرَ فَانَ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) م
(المنار) ان لنا قولاً في هذه المسائل ننشره في جزء آخر وتقبل من العلماء
اباحين كل ما يرد إلينا في ذلك لا يشترط فيه الا التزام ما يليق بالعلماء من الأدب
والتزاهة وبناء المناظرة على احترام اعتقاد المناظر

خطبة اسماعيل بك عاصم

المحامي

التي ألقاها في الحفلة (*) التي أعدها في داره لطماء الكتاب اصحاب المجالات
المصرية ومحريها احتفالاً بإتمام مجلة المنار للسنة العاشرة من عمرها
(مساء ١٢ شوال سنة ١٣٢٥ - ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٠٧)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أما بعد حمد الله، والصلاة والسلام على من اجتبا، فإن براعة استهلاكي
هي تقديم الشكر والثناء لحضراتكم على اجابة دعوتي وتشريف هذا الاحتفال
الادبي بإكمال مجلة المنار الزهراء لصديقنا السيد محمد رشيد رضا السنة
العاشرة من عمرها

(*) راجع خبر الحفلة في باب الأخبار والآراء

(المجلد العاشر)

(٨٧)

(المنار ٩)

٦٩٠ خطبة امعاءيل ءاصم في الاحتفال بالمنار (المنار ٩ - ١٠)

ولعل هذه أول مرة قام فيها انسان عربي مصري بمثل هذه الحفلة ودعا اليها أعظم أصحاب المجالات وأفاضل محريها سروراً وإبتهاجاً بمجلة علمية اتمت العقد الأول من عقود الاعداد . وأرجو أن يكون هذا الاجتماع فاتحة لامثاله في المستقبل

اني يا حضرات الافاضل عرفت مجلة المنار في السنة الثانية من نشأتها اذ نهني اليها صديقي المرحوم ثقولا بك توما الاصولي الشير وكان في يده نسخة منها قال لي انها أحسن مجلة دينية، وأفصح صحيفة عربية أدبية، فأنمت النظر فيها فأنقيتها جديرة بالمطالعة والادخار وحيث تأقت نفسي لمعرفة محررها وقابلته فوجدت منه انساناً فاضلاً أدبياً، وكاتباً عالمياً أريباً، كما تشاهدون وتشهدون، فعاشرته ثمانية أعوام وهو يزداد كمالاً في محاسن أخلاقه، وتزداد مجلته جمالاً بالمباحث الاخلاقية العالية، والافكار الصحيحة البعيدة عن التقليد الاعمى، وبالمقالات الحكيمة المرانية، من الوجهتين الدينية والمدنية، فازداد حيي له كما ازداد اعجابي بثباته بالرغم من مقاومة الدين لا يفقهون ما يقول أو يفقهون قوله ولكنهم يبرم عليه الجهل الذي قد يثور بأهله البسطاء، على المصلحين الاذكياء، فازدادت مجلته انتشاراً، ولاقت عند أهل الحجا اعتباراً، حتى غبطه عليها محبوه، وانما يعرف الفضل ذووه

ومن المقرر أيها السادة ان الصحف هنا قسمان أحدهما سياسي وينطب عليه اسم الجرائد . وهي تبحث في الغالب عن الحكومة وعلاقتها بالامة والدول، وعن الامة وعلاقتها بالحكومة، وعن حقوق كل منهما التي لها أو عليها للآخرى، وتراقب ما يتجدد من التقنين والتشريع، وتنبه الى المدالة

(المنار ٩-١٠) خطبة اسماعيل عاصم في الاحتفال بالمنار ٦٩١

والاعتدال، والاتصار للمقاوم، والأخذ بيد صاحب الحق المهضوم، ونحو ذلك . فهي نم المرشد الأمين إذا أخلصت في النصيح والارشاد، ولم تسلك سبل التعيز والهوى والعناد

والقسم الثاني علمي أدبي ويناب عليه اسم المجالات . وهي تبحث عن تقويم الاخلاق ، وتهذيب النفوس ، وتثقيف الطباع ، وتصحيح الافكار ، واحياء اللغة التي بها حياة الامة ، وانماء الصنائع ، والتثنية الى المحترعات المفيدة، وبث روح العلوم النافعة الجديدة، الى غير ذلك مما يرقى المر فان، ويزداد به العمران

وهذه ربما كانت أتمتع للامم وخصوصاً للحديثة العهد منها بالمدينة لانها مما تضاربت افكارها، وتسابقت أقلامها، فهي انما تكون للبحث في مسائل علمية اجتماعية، أو أمور صناعية عمرانية، فلا يحدث عن احتكاك بعضها ببعض غير اشعة تستفيء بنورها العقول

ولهذا وجب على أرباب المجالات ان يتبعوا الرذيلة فيطسوارسومها، ويتعاونوا على قلع جذورها من النفوس الضالة، بأوتوا من الهداية والحكمة، والموعظة الحسنة وقوة البرهان (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) - وان يتبعوا الفخيلة من طريق الشرائع السماوية، والنواميس الاجتماعية، ويثبتوها في النفوس حتى تنطبع في مرآة أخلاق الامة وشعورها (والناس تسعد بالاخلاق ما صلحت

فان هم فسدت أخلاقهم فسدوا)

فاذا أنتم قمتم بهذه الواجبات، وأديتم المطالب من مجالاتكم حق الاداء، فاستنارت بها عقول الامة، وارتقت أفكارها، وعظمت نفوسها، فعرفت

قيمة الاجتماع، وقوة التعاون، فوجدت المدارس والمستشفيات، والمصارف والكيانات، والجامعات العالية بقدر الحاجة إليها، ثم ذاقوا لذة القيام بنفسها، وانفتحت أجابة كل داع يضلها عن السبيل السوي، - هنالك يتسر لها إيجاد المجالس النيابية، واللجان التشريعية، التي تطلبها الجرائد السياسية، ويتنناها كل محب لنفسه ووطنه

لا ينبغي على حضراتكم ان من الادلة على حياة الامة وارتقائها أن تعرف قيمة رجالها العاملين لنفعها، فتقدم حق قدرهم، وتشجعهم على أعمالهم حساً ومعنى، فيذوقوا من حلاوة الاحترام والاكرام، ما يقوي منهم الآمال بالاصلاح العام، فيزدادوا نشاطاً وتقناً في عملهم، ويقتدي بهم غيرهم، فيزداد ارتقاء الامة بقدر زيادة التابئين فيها،

لهذا رأيت من الواجب علي لصديقي «المرشد الرشيد» ان يحتفل باكمال مجلته (المنار) للسنة العاشرة من ظهورها في هذا اليوم المبارك ٢٢ شوال سنة ١٣٢٥ فقد كان في مثله ظهور أول عدد منها سنة ١٣١٥ ويحسن بي ان أعرض على نظركم هذه النسخة من العدد الاول المذكور واقطف منه زهرات متفرقة يتأرجح نادينا بمرقها

قال في المقدمة الافتتاحية - أيها الشرقي المستغرق في منامه قد تجاوزت حد الراحة فتنبه من سباتك وانظر الى هذا العالم الجديد فقد بدلت الارض غير الارض واستولى أخوك الغربي المستيقظ على قوى الطبيعة فخرن بين الماء والنار، وأولدهما البخار، واستخدم الكهرباء والنور، واخترق الجبال، واختبر أعماق البحار، وعرف مساهة الهواء، وجمع بين أقطار الارض، بل عرج للعبة الفلكية فعرف الكواكب ومادتها الى أن قال -

(الجزء ٩-١٠) خطبة امما عيل عاصم في الاحتفال بالنار ٦٩٣

وان هذا العصر عصر العلم والعمل فلا تضيع أوقاتك بالتخيل والتفكير
والاماني والتشهي (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فليها)

ثم قال ان من وظيفة هذه المجلة الحث على تربية البنات والبنين
واصلاح كتب العلم وطريقة التعليم وشرح الدخائل التي مازجت عقائد
الامة وشبهت الحق بالباطل حتى صار انكار الاسباب ايمانا وترك الاعمال
المفيدة نو كلا ومعرفة الحقائق كفرا والتسليم بالخرافات صلاحا واختبال
العقل ولاية والخنوع والذل تواضعا والتقليد الاعمى علما وايقانا

ومن غرضها رد الشبهات الواردة عن الشريعة الاسلامية ودحض
مزاعم من زعم أنها حجاب بين المسلمين بها وبين المدنية ، واقناع
أرباب النحل المتباينة ، بأن الله تعالى شرع الدين للتحاب والتواد والبر
والاحسان ، وان المعارضة والمناسبة تقضي الى خراب الاوطان ، وتقضي
على هدي الاديان؛ فهذا ما أرادت أن أجتنيه لكم من ازهار هذه المقدمة
ومن أبدع ما رأيته أن سعادة العالم الفاضل أحمد قحى باشا زغلول استشهد
في مقدمة ترجمته لكتاب الاسلام المطبوع في سنة ١٣١٥ في الصفحة السابعة
بشذرات من فاتحة أول عدد من المنار في حينئذ قد شبت في مهدها، وحازت
الثقة عند أكابر الامة منذ نشأتها

فهذا ما دعاني إليها الاخلاء لاتخاذ هذه المناسبة اللطيفة ، والمصادفة
الجميلة ، وسيلة حسنة للتشرف بدعوة حضراتكم لنجتمع على مائدة
السمر الادبي فوق أرائك المحبة والصفاء فينبئ بعضنا البعض على هذا
الاجتماع الاخوي المفيد ، ونهنيء كلنا هذا الاخ العزيز المحتفل به على
توفيقه لهذه الخدمات التي نوهنا عنها، ونسأل الله أن يمنحه الصحة ويزيدني

عمره وعمر مجلته ليزداد به النفع العام، وهذا جهد ما يستطيع مثلي عمله والسلام
(لا خيل عندي أهديها ولا مال فليسمع النطق ان لم تسمع الحال)

ثم اني أشكر حضراتكم بلسان الامة المصرية على جزيل فوائدها ومجالاتكم
الزاهرة فاتها طالما نشرت من اريج دوحها ما تعطرت به النفوس وأتمنى
ان يتكرر مثل هذا الاجتماع ولو مرة في كل شهر لتبادل الآراء في ما
يكون به زيادة ترقية الافكار

وفي الختام ابتهل الى الله ان يؤيد مولانا الخليفة والسلطان الاعظم بروح
من عنده وان يوفق خديونا المعظم ورجال حكومته وعقلاء الامة لما فيه نفع
البلاد وخير البلاد آمين

حجّة الاسلام ابو حامد الغزالي

(٣)

﴿ رأيه في العلوم الدنيوية ﴾

قال في بيان العلم الذي هو فرض كفاية من الباب الثاني من كتاب احياء
العلوم الذي بين فيه العلوم المحموده والمذمومة
« اعلم أن الفرض لا يتميز عن غيره الا بذكر العلوم . والعلوم بالاضافة الى
الفرض الذي نحن بصدد تنقسم الى شرعية وغير شرعية وأعني بالشرعية ما استفيد
من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ولا يرشد العقل اليه مثل الحساب ولا التجربة
مثل الطب ولا السماع مثل اللغة

فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم الى ما هو محمود والى ما هو مذموم والى
ما هو مباح فالمحمود ما ترتبط به مصالح الدنيا كالتب طب والحساب وذلك ينقسم الى

ما هو فرض كفاية والى ما هو فضيلة وليس فريضة
«أما فرض الكفاية فهو مالا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب اذ هو
ضروري في حاجة بقاء الأبدان والحساب فانه ضروري في المعاملات وقسمة
الوصايا والموارث وغيرها . وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عن يقوم بها خرج
أهل البلد واذا قام بها واحد كفي وسقط الفرض عن الآخرين . فلا يتوجب من
قولنا ان الطب والحساب من فروض الكفايات فان أصول الصناعات أيضا من
فروض الكفايات كالزراعة والحياكة والسياسة بل الحياطة والحياطة فانه لو خلا البلد
من الحجام تسارع الهلاك اليهم وخرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك (١) فان الذي
أنزل الله أنزل الدواء (٢) وأرشد الى استعماله وأعد الأسباب لتعاطيه فلا يجوز
التعرض للهلاك بإهماله

«وأما ما يعد فضيلة لا فريضة فالتمق في دقائق الحساب وحقائق الطب وغير
ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج اليه
«وأما المذموم منه فلم السحر والطلسمات وعلم الشعبة والتليسات
«وأما المباح منه فالعلم بالاشعار التي لا تخف فيها وتواريخ الاخبار وما
يجري مجراه » اهـ

أقول لا يظهر وجه ما قاله في الاشعار والتواريخ الا فيمن يقرأهم المفض السلي والتفكه
فأما قراءة الاشعار لاجل معرفة القصة مفرداتها وأسايلها واكتساب ملكة البلاغة وتعبير
الصحيح والقصيح من غيره فهو على قاعدته من فروض الكفاية بل ربما يستنبط من
كلامه في كتاب إجماع الروا عن علم الكلام ان معرفة القصة العربية فرض عين على
كل مسلم بحيث يفهم الكلام البليغ ويميز بين الحقيقة والتهافت والكناية فانه قال هناك

(١) كان هذا المثال مطابقا للحكم في زهـ « ذ كان الاطباء لا يعرفون علاجاً
لتبئخ الدم في بعض الاحوال الا الحجامه أو الفصد وكان يتولى ذلك الحجامون
(٢) هذا المعنى رواه البخاري مر فوعا بلفظ « ما أنزل الله الا أنزل له شفاء »
ورواه غيره ولفظ ابن ماجه « الا أنزل له الدواء » وعند مسلم « فان أصبت دواء
الله يرى » باذن الله »

إن ما ورد في الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته وأفعاله لا يجوز أن يؤخذ بالترجمة فإن غير العربية لا تؤدي ما يؤديه القول الوارد فيها على وجهه في كل صفة من تلك الصفات وضرب لذلك الأمثال

وأما تواريخ الاخبار - ولعله يعني بها ما يقابل تواريخ المحدثين - فقد كانت في زمنه قليلة الفائدة وهي في هذا العصر مادة السياسة التي قال بأنها فريضة وينبوع العلوم الاجتماعية التي تشرح لنا سنن الله تعالى في الأمم وهو يعد العلم بسنن الله تعالى في خلقه كالعلم بصفات الله وكما له أعلى العلوم الدينية كما سيأتي عنه فلو كان في هذا العصر نقال في الشعر والتاريخ قولاً مفصلاً على نحو ما قلنا ﴿ رأيه في علوم الفلسفة ﴾

ثم تكلم عن العلوم الشرعية وأورد على نفسه هذا السؤال « فإن قلت فلم لم نورد في أقسام العلوم الكلام والفلسفة وتبين أنهم مذهب ممان أو مجهودان » وأجاب عن علم الكلام بما سنذكره في الكلام عن العلوم الدينية وإن كان لا يعد منها وعن الفلسفة بما يأتي

« وأما الفلسفة فليست علماً برأسها بل هي أربعة أجزاء

(أحدها) الهندسة والحساب وهما مباحان كما سبق ولا يمنع عنهما إلا من يخاف عليه أن يتجاوزهما إلى علوم مذمومة فإن أكثر الممارسين لما قد خرجوا منها إلى البدع فيصان الضعيف عنه لا يمينه كما يصان الصبي عن شاطئ النهر خيفة عليه من الوقوع في النهر وكما يصان الحديث العهد بالسلام عن مخالطة الكفار خوفاً عليه مع أن القوي لا يتدب إلى مخالطتهم

« و (الثاني) المنطق وهو بحث عن وجه الدلائل وشروطه وهما داخلان في

علم الكلام .

« و (الثالث) الإلهيات وهو بحث عن ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته

وهو داخل في الكلام أيضاً والفلسفة لم ينفردوا فيها بنمط آخر من السلم بل انفردوا بمذاهب بعضها كفر وبدعة وكما أن الاعتزال ليس علماً برأسه بل أصحابه طائفة من المتكلمين وأهل البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة فكذلك الفلسفة

(التأريـ ١٠) الغزالي - رأيه في الرياضيات والفلسفة الالهية ٦٩٧

هو (الرابع) الطبيعيات وبعضها يخالف للشرع والدين الحق فهو جبل وليس بعلم حتى يورد في أقسام العلوم وبعضها بحث عن صفات الاجسام وخواصها وكيفية استعالتها وتغيرها وهو شبيه بنظر الأطباء الا ان الطبيب ينظر في بدن الانسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح وهم ينظرون في جميع الاجسام من حيث تتغير وتتحرك ولكن للطب فضل عليه وهو أنه محتاج اليه وأما علومهم في الطبيعيات فلا حاجة اليها » اهـ

وقد أوسع المجال لذلك في كتابه المنقذ من الضلال قال :

﴿ فصل في أقسام علومهم ﴾

اعلم ان علومهم بالنسبة الى الغرض الذي نطلبه ستة أقسام رياضية ومنطقية وطبيعية والهيـة وسياسية وخلفية أما الرياضية فتشـلق بعلم الحساب والهندسة وعلم هيـة العالم وليس يـتعلق شيء منها بالامور الدينية تقياً واثباتاً بل هي أمور برهانية لاسـيـل الى مجاهدتها بعد فهمها ومعرفةـها وقد تولدت منها آفانـة (الاولى) من ينظر فيها يتعجب من دقائقها ومن ظهور براهينها فيحسن بسبب ذلك اعتقاده في الفلاسفة ويحسب ان جميع علومهم في الـوضوح ووثاقة البرهان كذا العلم ثم يكون قد سمع من كفرهم وتعطيلهم ونهاونهم بالشرع مـاتناوله الالسن فيكفر بالتقليد المخض ويقول لو كان الدين حقاً لما اختفى على هؤلاء مع تدقيقهم في هذا العلم فاذا عرف بالقسام كفرهم وجحدم يستدل على ان الحق هو الحمد والانكار للدين وكـم رأيت ممن ضل عن الحق بهذا القدر ولا مستند له سواء واذا قيل له الخافق في صناعة واحدة ليس يلزم ان يكون حاذقاً في كل صناعة فلا يلزم ان يكون الخافق في الفقه والكلام حاذقاً في الطب ولا ان يكون الجاهل بالعقليات جاهلاً بالنحو بل لكل صناعة أهل بـتوافيقها البراعة والسبق وان كان الحق والجهل قد يلزمهم في غيرها فكلام الاوائل في الرياضيات برهاني وفي الالهيات تخميني لا يعرف ذلك الا من جربه وخاض فيه فهذا اذا قرر على هذا الذي اتخذ (كذا) بالتقليد

(المجلد المـاشـر)

(٨٨)

(التأريـ ٩)

لم يقع منه موقع القبول بل نحمده غلبة الهوى وشهوة البطالة وحب التكاسل على
ان يصر على تحسين الظن بهم في العلوم كلها فهذه آفة عظيمة لاجلها يجب زجر
كل من يخوض في تلك العلوم فانها وان لم تتعلق بأمر الدين لكن لما كانت من
مبادي علومهم يسري اليه شرم وشوهم فقل من يخوض فيه اذلا وينتفع من
الدين وينحل عن رأسه لجام التقوى

(الالة الثانية) نشأت من صديق للاسلام جاهل ظن ان الدين ينبغي ان ينصر بانكار كل علم منسوب اليهم فانكر جميع علومهم وادعى جوامع فيها حتى انكر قولهم في الكسوف والخسوف وزعم ان ما قالوه على خلاف الشرع فلما قرع ذلك سمع من عرف ذلك بالبرهان القاطع لم يشك في برهانه لكن اعتقد ان الاسلام مبني على الجمل وانكار البرهان القاطع فيزداد لفلسة جبا والاسلام يضاً ولقد عظم على الدين جناية من ظن ان الاسلام ينصر بانكار هذه العلوم وليس في الشرع تعرض لهذه العلوم بالنفي والاثبات ولا في هذه العلوم تعرض للامور الدينية وقوله عليه السلام «ان الشمس والقمر آياتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله تعالى والى الصلاة» ليس في هذا ما يوجب انكار علم الحساب المعروف بمسير الشمس والقمر واجتماعها أو مقابلتها على وجه مخصوص وأما قوله «ان الله اذا تجلى لشيء خضع له» فليس توجد هذه الزيادة في الصحاح أصلاً فهذا حكمة الرياضيات وآنها

(وأما المنطقيات) فلا يتعلق شيء منها بالدين قيا وأثباتا بل هو النظري طرق الادلة والمقاييس وشروط مقدمات البرهان وكيفية تركيبها وشروط الحد الصحيح وكيفية ترتيبها وان العلم إما تصور وسيل معرفته الحدو إما تصديق وسيل معرفته البرهان وليس في هذا ما ينبغي ان يذكر بل هو من جنس ما ذكره المتكلمون وأهل النظر في الادلة وانما يفارقونهم بالعبارات والاصطلاحات وبزيادة الاستقصاء في التعريفات والتشخيصات ومثال كلامهم فيه قولهم اذا ثبت ان كل (أ) (ب) (ب) لازم ان بعض (ب) (أ) أي اذا ثبت ان كل انسان حيوان لازم ان بعض الحيوان انسان ويبرهن عن هذا ان الموجبة الكلية تنعكس موجبة جزئية. وأي تعلق

لهذا بهمت الدين حتى يحمده وينكر فاذا أنكر لم يحصل من إنكاره عند أهل المنطق الأسوء الاعتقاد في عقل المنكر بل في دينه الذي يزعم أنه موقوف على مثل هذا الإنكار. نعم لهم نوع من الظلم في هذا العلم وهو أنهم يجمعون للبرهان شروطاً يعلم أنها تورث اليقين لا محالة لكنهم عند الانتهاء إلى المقاصد الدينية ما أمكنهم الوفاء بتلك الشروط بل تساهلوا غاية التساهل وربما ينظر في المنطق أيضاً من يستحسنه ويراها واضحة فيظن أن ما ينقل عنهم من الكفریات مؤيدة بمثل تلك البراهين فاستعجل بالحفر قبل الانتهاء إلى العلوم الإلهية فهذه الآفة أيضاً منطوقه إليه

﴿ وأما علم الطبيعيات ﴾ فهو بحث عن أجسام العالم السموات وكواكبها وما تحتها من الأجسام المفردة كاللواء والهواء والتراب والنار ومن الأجسام المركبة كالحيوان والنبات والمعادن وعن أسباب تغيرها واستحالتها وامتزاجها وذلك بضاهي بحث الطبيب عن جسم الإنسان وأعضائه الرئيسة والخادمة وأسباب استحالة مزاجه وكما ليس من شرط الدين أنكار ذلك العلم إلا في مسائل معينة ذكرناها في كتاب تهافت الفلاسفة وما عداها مما يجب المخالفة فيها فنحن تأمل يدين أنها مندرجة تحتها وأصل جهلتها أن يعلم أن الطبيعة مسخرة لله تعالى لا تعمل بنفسها بل هي مستعلة من جهة فاطرها والشمس والقمر والنجوم والطبايع مسخرات بأمره لا فعل شيء منها بذاته عن ذاته ﴿ وأما الإلهيات ﴾ ففيها أكثر أغاليطهم فما قدروا على الوفاء بالبراهين على ما شرطوا في المنطق وذلك كثر الاختلاف بينهم فيه ولقد قرب أرسطاطاليس مذهبه فيها من مذاهب الإسلاميين على ما نقله الفارابي وابن سينا ولكن مجموع ما غلطوا فيه يرجع إلى عشرين أصلاً يجب تكفيرهم في ثلاثة منها وتبديعهم في سبعة عشر ولا يبالغ مذهبهم في هذه المسائل العشرين صنفنا كتاب التهافت. أما المسائل الثلاث فقد خالفوا فيها كافة المسلمين وذلك في قولهم أن الأجساد لا تنحسر وإنما المثاب والمقاب هي الأرواح المجردة والعقوبات روحانية لاجسمانية ولقد صدقوا في إثبات الروحانية قائماً كائناً أيضاً ولكن كذبوا في إنكار الجسمانية وكفروا بالشرعية فيها فطغوا به ومن ذلك قولهم إن الله تعالى

٧٠٠ الفزالي - رأيه في علم السياسة وعلم الاخلاق (الناشر ١٠٠٠)

يعلم الكلبيات دون الجزئيات فهو أيضاً كافر صريح بل الحق أنه (لا يهرب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض) ومن ذلك قولهم بقدوم العالم وأزليته فلم يذهب أحد من المسلمين إلى شيء من هذه المسائل وأما ما وراء ذلك من تفهيم الصفات وقولهم أنه عليم بالذات لا يعلم زائد على الذات وما يجري مجراه فذهبهم فيها قريب من مذهب المعتزلة ولا يجب تكفير المعتزلة بمثل ذلك وقد ذكرنا في كتاب فصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ما يبين فيه فساد رأي من يتسارع إلى التكفير في كل ما يخالف مذهبه

(وأما السياسات) فمجموع كلامهم فيها يرجع إلى الحكم المصلحة المتعلقة بالامور الدنيوية السلطانية وإنما أخذوها من كتب الله المنزلة على الانبياء ومن الحكم الماثورة عن سلف الاولياء

(وأما الخلقية) فجميع كلامهم فيها يرجع إلى حصر صفات النفس وأخلاقها وذكر أجناسها وأواعها وكيفية معالجتها ومجاهدتها وإنما أخذوها من كلام الصوفية وم التأملون المتأبرون على ذكر الله تعالى وعلى مخالفة الهوى وسلوك الطريق إلى الله تعالى بالأعراض عن ملاذ الدنيا وقد انكشف لهم في مجاهداتهم من اخلاق النفس وعيوبها وآفات أعمالها ما صرحوا بها فأخذوا الفلاسفة ومزجوها بكلامهم توسلاً بالتجمل بها إلى ترويض باطلهم ولقد كان في عصرهم بل في كل عصر جماعة من المتأملين لا يخفي الله العالم عنهم فاتهم أوتاد الأرض ببركتهم تنزل الرحمة إلى أهل الأرض، اه المراد منه

أقول هذا آخر ما استقر عليه رأي الامام أبي حامد في هذه العلوم لأن هذا الكتاب من آخر ما كتب . ومنه يعلم أنه لا ينكر من علومهم شيئاً يعده مخالفاً للدين الامسائل معدودة من الفلسفة الالهية وانا نزيد المسألة بياناً بإيراد ما كتبه قبل ذلك في مقدمة كتابه تهافت الفلاسفة قال :

«أما بعد فإني رأيت طائفة يعتقدون في أنفسهم التميز عن الأتراب والنظر ، بمزهد الفطنة والذكاء ، قد رفضوا طوائف الاسلام والعبادات ، واستحقوا شتمائر الدين ووظائف الصلوات ، والتوقى عن المحظورات ، واستهانوا بتعبدات الشرع

(الشارح ٩-١٠) فائحة كتاب التفات للفرابي الكفر بالتقليد ٧٠١

وحدوده ، ولم يقفوا عند توقيفاته وقبوده ، بل خلموا بالكلية ربة الدين ، فثون من الظنون ، ينبون فيها رهطاً يصدون عن سبيل الله ويغونها عوجاً وم بالآخرة هم كافرون ، ولا مستند لكفرهم غير سماع النبي كتقليد النصاري واليهود اذ جرى على غير دين الاسلام نشوءهم وولادهم ، وعليه درج أباهم وأجدادهم ، ولا عن بحث نظري صادر عن التعر باذيال الشبه الصارقة عن صوب الصواب ، والانخداع بالخيالات المزخرفة كلامع السراب ، كما اتفق لطوائف من النظاري البحث عن العقائد والآراء ، من أهل البدع والاهواء ، وانما مصدر كفرهم سماعهم أسامي هائلة كسقراط وبقرات وأفلاطون وأرسطاطاليس وأمثالهم ، وإطباب طوائف متبهم وضالهم ، في وصف عقولهم ، وحسن أصولهم ، ودقة علومهم الهندسية ، والمنطقية والطبيعية والالهية ، واستبدادهم بفرط الذكاء والفطنة ، واستخراج تلك الامور الخفية ، وحكايتهم عنهم أنهم مع رزاة عقولهم ، وغزارة فضلهم ، منكرون للشرائع والنحل ، وجاحدون لتفاصيل الاديان والمثل ، ويعتقدون أنها نواميس مؤلفة ، وحيل مخرقة ، فلما قرع ذلك سمهم ، ووافق ما حكي لهم من عقائدهم طبعهم ، تجملوا باعتقاد الكفر فحيزا الى غمار الفضلاء برعهم ، وانخرطوا في سلكهم ، وترفعوا عن مساعدة الجماهير والدماء ، واستكفوا من القناعة باديان الالباء ، ظنا بأن اظهار التكاييس في النزوع عن تقليد الحق بالشروع في تقليد الباطل جمال ، وغفلة منهم عن أن الانتقال الى تقليد عن تقليد خرق وخال ، فأية رتبة في عالم الله أحسن من رتبة من يجعل بترك الحق المعتد تقليداً ، بالتسارع الى قبول الباطل دون أن يقبله خبراً ونقطة ، والبله من العوام بمنزل عن فضيحة هذه المهواة ، فليس في سجينهم حب التكاييس بالتشبه بذوي الضلالات ، والبله أدنى الى الخلاص من فطانة براء ، والى أقرب الى السلامة من بصيرة جولاء

فلما رأيت هذا العرق من الحماقة نابضاً على هولاء الاغبياء ، ابتدأت بتحرير

هذا الكتاب رداً على الفلاسفة القدماء ، مينا تفات عقيدتهم ، وتناقض كلمتهم ، فيما يتعلق بالالهيات . وكاشفاً عن غوائل مذهبهم وعوراته التي هي على التحقيق مضاحك العقلاء ، وعبرة عند الأذكياء ، أعني ما اختصوا به عن الجماهير والدماء ،

٧٠٢ فاتحة كتاب التفات لغزالي . الكفر بالتقليد (المنار ٩-١٠)

من فنون العقائد والآراء ، هذا مع حكاية مذهبهم على وجهه لذين لمولاء الملمدة
تقليداً اتفاق كل صرموق من الاوائل والاواخر ، على الايمان بالله واليوم الآخر ،
وان الاختلافات راجعة الى تفاصيل خارجة عن هذين القطبين الذين لاجلها
بمث الأنياء المؤبدون بالمعجزات ، وأنه لم يذهب الي انكارها الا شذمة يسيرة
من ذوي العقول المنكوسة ، والآراء المعكوسة ، الذين لا يوبه لهم ، ولا يعاب بهم ،
فما بين النظار ، ولا يعدون الا في زمرة الشياطين الاشرار ، وغمار الاغنياء والأغمار ،
ليكف عن غلوائه ، من يظن أن التجميل بالكفر تقليداً يدل على حسن رائه ،
أو يشعر بضطته وذكائه ، اذ يتحقق أن هؤلاء الذين تشبه بهم من زعماء الفلاسفة
ورؤسائهم ، برآء عما قذفوا به ، من جحد الشرائع ، وأنهم مؤمنون بالله ، ومصدقون
لرسله ، ولكنهم اختبطوا في تفاصيل بعد هذه الاصول ، قد زلوا فيها فضلوا وأضلوا
عن سواء السبيل ، ونحن نكشف عن فنون ما انخدعوا به من التخاييل والأباطيل ،
ونبين أن ذلك هو بل ما وراءه تحصيل ، والله تعالى ولي التوفيق ، لاظهار ما قصدناه
من التحقيق ، ونصدر الآن الكتاب بمقدمات تعرب عن مساق الكلام في الكتاب

(مقدمة)

ليعلم أن الخوض في حكاية اختلاف الفلاسفة تطويل ، فان حبلهم طويل ،
وزاعمهم كثير ، وآرائهم منتشرة ، وطرقهم متباعدة متدايرة ، فلنقتصر على اظهار
الناقض في رأي مقدمهم الذي هو الفيلسوف المطلق ، والمعلم الاول ، فانه رتب
علومهم وهذبها بزعمهم ، وحذف الحشوم من آرائهم ، وانثى ما هو الاقرب الى
أصول أهوائهم ، وهو ارسططاليس وقدرته على كل من قبله حتى على أستاذه
الملقب عندهم بافلاطون الالهي ثم اعذر عن مخالفته أستاذه بان قال افلاطون
صديق والحق صديق ولكن الحق أصدق منه (وإنما) نقلنا هذه الحكاية عنهم ،
ليعلم أنه لا ثبت ولا ايقان لمذهبهم عندهم ، وانهم يحكون بظن وتخمين ، من غير تحقيق
ويقين ، ويستدلون على صدق علومهم لالهية ، بظهور العلوم الحسائية والمنطقية ،
ويستدرجون به ضغفاء العقول ولو كانت علومهم الالهية متقنة البراهين ، نقية عن
التخمين ، كعلومهم الحسائية والمنطقية ، لما اختلفوا فيها كما لم يختلفوا في الحسائية ، ثم

(النار - ١٠) الخلاف بين المسلمين والفلاسفة ٧٠٣

الارجون لكلام اوساطا ليس لم ينفك كلامهم عن تحريف وتبديل ومحوج الى تفسير وتأويل، حتى آثار ذلك أيضاً نزاعاً بينهم وأقومهم بالنقل والتحقيق من المتفلسفة الاسلامية الفارابي أبو نصر وابن سينا . فلنقتصر على ابطال ما اختاراه ورأياه الصحيح من مذاهب رؤسائهم في الضلال فان ما هجرناه واستنكفاه من المتابعة فيه لا يتارى في اختلاله، ولا يقتصر الى نظر طويل في ابطاله، فليعلم اننا مقتصرون على رد مذاهبهم بحسب قلة هذين الرجلين كيلا ينتشر الكلام بحسب انتشار المذاهب (مقدمة ثانية)

ليعلم أن الخلاف بينهم وبين غيرهم من الفرق على ثلاثة أقسام (قسم) يرجع النزاع فيه الى لفظ مجرد كسميتهم صانع العالم تعالى عن قولهم جواهر مع تفسيرهم الجوهر بأنه الموجود لاني موضوع أي القائم بنفسه الذي لا يحتاج الى مقوم يقوم ذاته ولم يريدوا بالجوهر التحيز على ما أراده خصومهم ولنا نخوض في ابطال هذا لأن معنى القائم بالنفس اذن صار متفقاً عليه. رجع الكلام في التعبير باسم الجوهر عن هذا المعنى الى البحث عن اللغة وأكثرم لا يسمونه جوهرًا وان سوغت اللغة اطلاقه. رجع جواز اطلاقه في الشرع الى المباحث الفقهية فان تحريم اطلاق الاسامي وابطاحتها يؤخذ مما يدل عليه ظواهر الشرع. ولعلك تقول هذا انما ذكره المتكلمون في الصفات ولم يورده الفقهاء في فن اللغة فلا ينبغي أن يلتبس عليك حقائق الامور بالامادات والمراسم قد عرفت أنه بحث عن جواز التلطف بلفظ صدق معناه على المسمى به فهو كالبحث عن جواز فعل من الافعال

(القسم الثاني) مالا يصدم مذهبهم فيه أصلاً من أصول الدين وليس من ضرورة تصديق الانبياء والرسل صلوات الله عليهم منازعتهم فيه كقولهم ان كسوف القمر عبارة عن انحاء ضوء القمر بتوسط الارض بينه وبين الشمس من حيث انه يقتبس نوره من الشمس والارض كرة والسماء محيط بها من الجوانب فاذا وقع القمر في ظل الارض اقطع عنه نور الشمس وكقولهم ان كسوف الشمس معناه وقوف جرم القمر بين الناظر وبين الشمس وذلك عند اجتماعها في القطبين على دقيقة واحدة . وهذا الفن أيضاً لينا نخوض في ابطاله اذ لا يتطابق به غرض . ومن ظن أن

٧٠٤ الحسوف والكسوف والدين. أقوال الفلاسفة المتعلقة بالدين المناهضة ١٠٩

المناظرة في إبطال هذا من الدين فقد جئ على الدين وضعف أمره فان هذه الامور تقوم عليها براهين هندسية وحسابية لا تبقى معها رية فمن يطلع عليها ويتحقق أدلتها حتى يخبر بسببها عن وقت الكسوفين وقدرهما ومدة بقائهما الى الانجلاء اذا قيل له ان هذا على خلاف الشرع لم يسترب فيه وانما يسترب في الشرع وضرر الشرع ممن ينصره لا بطريقه أكثر من ضرره ممن يظن فيه بطريقه وهو كما قيل عدو عاقل خير من صديق جاهل

(فان قيل) قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله تعالى والصلاة » فكيف يلازم هذا ما قالوه (قلنا) وليس في هذا ما يناقض ما قالوه اذ ليس فيه إلا نفي وقوع الكسوف لموت أحد أو لحياته والامر بالصلاة عنده والشرع الذي يأمر بالصلاة عند الزوال والغروب والظهور من أين يعد منه أن يأمر عند الكسوف بها استحبابا

(فان قيل) فقد روي انه قال في آخر الحديث « ولكن الله اذا تجلى لشيء خضع له » فيدل على أن الكسوف خضوع بسبب التجلي

(قلنا) هذه الزيادة لم يصح نقلها فيجب تكذيب نقلها وانما المروي ما ذكرناه كيف ولو كان صحيحا لكان تأويله أمر من مكابرة أمور قطعية فكيف من ظواهر أولت بالادلة القطعية التي لا تنتهي في الوضوح الى هذا الحد وأعظم ما يقدح به الملهدة أن يصرح ناصر الشرع بأن هذا وأمثاله على خلاف الشرع فيسهل عليه طريق إبطال الشرع ان كان شرطه أمثال ذلك وهذا لان البحث في العالم عن كونه حادثا أو قديما ثم اذا ثبت حدوثه فسواء كان كرة أو بسيطا أو مشنا أو مسدسا وسواء كانت السموات وما تحتها ثلاثة عشر طبقة كما قالوه أو أقل أو أكثر فتسبب النظر فيه الى البحث الالهي كنسبة النظر الى طبقات البصل وعددها وعدد حب الرمان فالمتصور كونها من فعل الله فقط كيفما كانت

(القسم الثالث) ما يتعلق النزاع فيه بأصل من أصول الدين كالقول في حدوث العالم وصفات الصانع وبيان حشر الاجساد والابدان وقد أنكرنا جميع

(المنار ٩-١٠) المؤتمر الإسلامي والمناقشات في تأسيسه ٧٠٥

ذلك فهذا الفن ونظائره هو الذي ينبغي أن يظهر فساد مذهبهم فيه دون ما عداه (مقدمة ثالثة) ليعلم أن المقصود ثبته من حسن اعتقاده في الفلاسفة فظن أن سالكيهم تقية عن التناقض ببيان وجوه تمايزهم فلذلك أنالاً أدخل في الاعتراض عليهم إلا دخول مطالب منكر لا دخول مدع مثبت فابطل عليهم ما اعتقدوه مقطوعاً به بالزمامات المختلفة فالزمهم ثارة مذهب المعتزلة وأخرى مذهب الكرامية وطورا مذهب الواقفية ولا أنتهض ذاباً عن مذهب مخصوص بل أجمل جميع الفرق إلهاً واحداً عليهم فإن سائر الفرق ربما خالفونا في التفصيل وهو لا يتعرضون لأصول الدين فلتظاهر عليهم فسد الشدائد تذهب الاحقاد» (الكلام بقية)



بَابُ الْحَبِيبِ الْإِسْلَامِيِّ

مَجْلَدُ الْمُؤْتَمَرِ الْإِسْلَامِيِّ

نشرنا في هذا الجزء خطبة اسماعيل بك غصبرنسكي صاحب جريدة ترجان التي اقترح فيها على مسلمي مصر الدعوة الى مؤتمر إسلامي جاء الرجل مصر لهذا الغرض فبدأ بزيارة أصحاب الجرائد اليومية وكاشف المسلمين منهم بما جاء لأجله فوعده صاحب جريدة المؤيد منهم بالمساعدة ودعو الناس الى مباح خطبته التي أعدها لذلك. وقد طبع أوراقاً للدعوة ووزعها على نحو ٦٠٠ من أختار من الوجهاء والفضلاء وكان موعد ليلة السبت خمس بقين من رمضان فأجاب الدعوة كثيرون وحضر كثيرون لم يدعوا فازدحموا على باب فندق الكونتنتال وتعذر تقديم المدعوين على غيرهم فكان السابق هو المقدم كأن كل واحد منهم كان يرى أن الداعي والمدعوين وغيرهم من المسلمين سواء في حضور هذا الاجتماع الذي يبحث فيه عن أحوال المسلمين كافة (المنار ٩) (٨٩) (المجلد العاشر)

٧٠٦ المؤتمر الاسلامي والمناقشات في تأسيسه (المئارة - ١٠)

كان عدد المجتبعين زهاء ثلاث مئة رجل فقرئت عليهم الخطبة التركية ثم رجتها العربية وبعد ذلك قام صاحب المؤيد قد كر بعد تمهيد وجيز - في كون فكرة المؤتمر ناضجة قد استمدت لها النفوس - أسماء طائفة من شيوخ الأزهر ووجهاه العاصمة قال انهم أذنوا له بأن يذ كر عنهم انهم أجابوا الدعوة وهم الأ سائدة المشهورون الشيخ سليم البشري والشيخ محمد توفيق البكري والشيخ محمد شا كر والشيخ محمد نجيت والشيخ محمد حسين المدوي والشيخ حسين والي، والباشوات حسين واصف واسماعيل أباطه والدكتور حسن رقي وعلي شعراوي والدكتور علوي وموسى غالب، والبكرات أحمد تيمور ومجد العزيز فهمي الهامي ورفيق العظم وطلعت حرب وحتي العظم وابراهيم الملباوي الهامي واحمد ز كي ويوسف صديق ومهر لطفي الهامي ومحمد فريد وعلي بهجت واسماعيل رأفت وحسن بكري المقاول ومحمد أحمد الشريف ثم ذ كر من الصحافيين نفسه وحافظ أفندي عوض . وقد علمنا أنه كان كلم أ كثر الشيوخ والباشوات من هؤلاء قبل ليلة الاحتفال ودعاهم الى ذلك دعوة خاصة فرضوا وأذنوا له بذ كر انصافهم . وقد انتقد بعض الناس هذا وقالوا أنه عبارة عن إجابة الدعوة قبل سماعها وظنوا أنه لا يخلو من تواطؤ خاص ثم أشيع في البلد أن وراء الستار إرادة تدبر أمر المؤتمر ونصرف كبراء المستغلين به في علمهم ورأيت غير واحد ممن ذ كرنا أسماءهم آ فنا يظن هذا في بعضهم . واقترح بعض الوجهاه على صاحب المؤيد أن يدعو كبرا من الفضلاء الى حضور أول اجتماع يقدده للبحث في المؤتمر فدعا بعض من سمي له وأفرادا من غيرهم الى الاجتماع في دار الشيخ البكري في الساعة التاسعة من ليلة ٩ شوال فأجاب الدعوة زهاء خمسين رجلا

اجتمعوا في ردهة الدار وكان صاحب المؤيد قد دعاه من حضر من ذ كر أسماءهم من قبل وسام اللجنة التحضيرية الى مخدع بجانب لردهة يأتمرون ويختصمون في اقتراح عرضه عليهم وهو أن يخرج من اللجنة أناس منهم بعد اختيار من يرضاه ويرضونه ليكون مكانهم فلم يفتقروا على ذلك اذ رأى بعضهم أنه لاحق لهم ان متبدوا بالصل م ومن يفتارونه

(المنار ٩-١٠) المؤتمر الإسلامي والمناقشات في تأسيسه ٧٠٧

ولما طال الانتظار ومل الحاضار ظهر الغضب على بعض الحاضرين وقال بصوت جمهوري ما معنى لأن ندعى الى مشروع عام ويتركنا الداعي ويخلو بنفر من دوننا في مخدع ياتهمون بينهم سرا؟ ما هذا الا اهانته وعمل غير مقبول: فرأى من القوم إرتياحا لقوله ومواقفة له عليه وصاروا يقناجون بينهم: إن البكري وصاحب المؤيد قد استبدوا بالمشروع لا مساوير يدان أن يختار المؤتمر من يرضيان ليتم ذلك الأمر وكان ذلك الغاضب قد دس على النفر المؤتمرين في مخدعهم واعاد عليهم ما قال آنفا فخرجوا وقام فيهم صاحب المؤيد فقال انه قد شاع بين الناس ان ارادة خاصة تدير أمر مشروع المؤتمر وهذا غير صحيح وانما خلونا لتتذاكر فيما نعرضه عليكم وهواننا رأينا من مصلحة المشروع أن أخرج أنا وحافظ أفندي عرض مت وحسن باشا رفيقي واسماعيل باشا أباطه وفلان وفلان فالمرجو منكم ان تنتخبوا بدلهم من الحاضرين لانعام اللجنة التحضيرية للمؤتمر: أو ما هذه خلاصته فبرأ نفسه بخروجه مما ظن فيه الظانون

فقام كاتب هذه السطور وقال ان بقية من سمينوهم اللجنة التحضيرية لم ينتخبوا فالعدل أن ينتخب جميع الاعضاء ابتداء . فحاول صاحب المؤيد والسيد البكري ان يثبتا عدم الحاجة الى جعل أحد ممن ذكرت أسماؤهم ليلة الاحتفال بالخطبة موضعاً للانتخاب لأنهم ذكروا أمام مقترح المؤتمر وجمهور من حضر خطبت ولم يعارض في أحد منهم أحد! والسيد البكري سبي ذلك انتخابا وقال صاحب المؤيد واننا نعرض أسماؤهم الآن على الحاضرين ونأخذ رأيهم فيهم . فقال كاتب هذه السطور انه ما كان لأحد ان يطعن في كفاءة أحد في وجهه ولا على مسمع الملا! ولذلك اتفقت الامم كلها جعل الانتخاب في مثل هذا الأمر سرا فنعن نبجل ونحترم كل واحد من أولئك المذكورين ولكننا ربما نرى أناسا آخرين أولى بهذا العمل من بعضهم فكل واحد ينتخب سرا من يعتقد كفاءته لهذا الأمر مع حفظ كرامة الآخرين . وأما ذكر صاحب المؤيد أسماؤهم ليلة الاحتفال وسكوت السامعين فلا يسي انتخابا اذ لم يخطر في بال أحد من السامعين ان تلك الاسماء ذكرت لأخذ رأيه فيها ولا ان له الحق في جرح أحد ممن ذكر

ثم اقترح بعض الحاضرين أن يكون البحث قبل كل شيء إمكانية المؤتمر وعدمه ، وإذا ظهر أنه ممكن فهل الأولى أن يكون عاماً أو خاصاً بمصر وطال الجدل في ذلك . واقترح بعضهم بيان موضوع المؤتمر أولاً فكان السيد البكري أحسن من أجاب إذ قال مأمثاله موضحاً أن السيد جمال الدين قال أنه لا فرق بين المسلمين وبين سائر الشعوب إلا في الدين ولا يمكن أن يكون دين الإسلام في حقيقته هو السبب في تأخرهم لأنه هو الذي كان السبب أولاً في جمع كلمة العرب ونقلهم من الجهل والامية إلى العلم ومن البداوة إلى المدنية ومن الفقر والضعف إلى الغنى والسيادة فالشيء الواحد لا يكون سبباً لشيء ولضده مما فلا بد أن يكون فهم الدين قد تغير ودخل فيه ما ليس منه فكان أثره في الآخرين ضد أثره في الأولين ولا يصلح حال المسلمين إلا بالرجوع إلى حقيقة الدين (قال) هذا ما سمعناه من السيد جمال الدين وهذا ما سمعناه من الشيخ محمد عبده وعليه جميع المعارف من الكتاب والباحثين ومنه يعرف موضوع المؤتمر . وعند هذا قال بعض الحاضرين لبعض منهم أحد بك زكي الأمين الثاني لاستمرار مجلس انتظار أن هذا عمل قامت به مجلة المآر . وقام الشيخ اسماعيل خليل فقال قولاً جاء فيه إشارة إلى ما صرح به غيره من جواب هذا القول وهو أن ما يكتب في المآر وكذا في بعض الجرائد أحياناً من البحث في أسباب ضعف المسلمين وطرق علاجه يكون محلاً لانتقاد بعض الناس فإذا كان مثل ذلك معزواً إلى طائفة كبيرة من علماء المسلمين وفضلائهم وأهل الرأي فهم يرجي أن يكون مقبولاً نافعا وقد أشرنا إلى ذلك في مقالاتنا عن المؤتمر في هذا الجزء

وبعد كثرة الجدل انفض القوم ولم يتفقوا على شيء فعزم من حضر ممن ساهم صاحب المؤيد اللجنة التحضيرية على أن يسموا أنفسهم اللجنة التأسيسية أو لجنة التأسيس للمؤتمر وأن يضموا إليهم من يختارونه للعمل معهم

ثم انهم بعد ذلك اجتمعوا واختاروا الشيخ ساجا البشري رئيساً للمؤتمر وعمر بك لطفي المحامي كاتباً للسرا وناطوا بتحديد موضوع المؤتمر ونظامه بلجنة مؤلفة من الشيخ توفيق البكري وصاحب المؤيد وبرايم بك الهلباري وحسن باشا رفيق ورفيق بك العظم

حيدر رزقة مصر بحسن باشا عاصم

رزئت مصر في ثالث شوال برجل الجدة والعمل والثبات والاستقامة والعدل
والنظام خادم الأمة المخلص نابغة النوابع نادرة المصير يثيمة المصاميرين العصماء
حسن باشا عاصم رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأحسن عزاءنا وعزاء البلاد عنه .
واننا نكتب في شأنه كلمات لا تقصد بها مجرد الرثاء والتأبين ، ولا محض الترجمة
والتاريخ ، بل العبرة والموعظة للأمة ، عسى ان يكون فيها لاهل الاستعداد حسن الاسماء
من هو حسن باشا عاصم الذي يحليه المنار بهذه الألقاب والتموت مخالفاً
عادته في ذكر الناس بأسمائهم ؟ من هو حسن باشا عاصم الذي يؤبته المنار وقد
مات كثير من الأمراء والباشوات وكذا العلماء ولم يذكر خبر موتهم ولا عزى
البلاد عنهم ؟

كان حسن عاصم رجلاً من الرجال الذين تهض بأمثالهم الأمم اذا كثروا
فيها ولو كثرت أمثاله في مصر لا ذهبت انكلترا بأن المصريين قادرين على أن
يحكموا أنفسهم كأرقى أمة أوربية فقد كان اذاً روحاً من أرواح الحياة القومية ،
وركناً من أركان النهضة المدنية ، وان كان عمله مما كانت تبهله العامة ، وقلما
تهتف به ألسنة الخاصة ،

كان ربما يزور هذه البلاد السائح المورخ فيقرأ جرائدها ، ويخشى أنديتها
ومعاهدها ، ويتحدث مع الخواص والعوام ، والمحكومين والمحكمين ، فيسمع ويقرأ
أخبار الأحزاب ومؤسسيها ، والتعزيب لها أو عليها ، والمحاورات في التفاضل بين
أفراد ، يقال انهم هم الذين ينهضون بالبلاد ، ولا يسمع لحسن باشا عاصم في هذه
المواضع ذكراً ، ولا يقرأ عنه في هذه الصحف خيراً ، فكيف كان لحياة البلاد
روحاً مدبراً ، ولنهضتها ركناً مشيداً ، والأمة في مجموعها غافلة عنه ، جاهلة عمله ،
ويقتازع زعامة النهضة فيها زيد وعمر ، وخالد وبكر ، ؟

الجواب عن هذا ان الرجل كان فعالاً ، ولم يكن قوَّالاً ، وأمتنا في مثل هذا
الطور تشغلها الأقوال ، وتقرأ الدعاوى المراض الطوال ، وحب قول كبير
الدعوى ، تدبر على التقرير ، لو كثرت أمثاله في الأمة ما زادوها الارهاق ، ولكن

ما كان يعرف حسن باشا عاصم أحد - وكل أهل الفضل في البلاد يعرفونه - إلا ويحزم بأنه لو كان فينا عشرون رجلاً مثله في صفاته وأعماله لتهضوا بنا نهضة لا تخطر في بال الذين يقولون مالا يفعلون ولكأنا حجة لنا على الأجانب لا يكابر أحد في دحضها . ولكن يوجد في البلاد مئات أو ألوف يستطيعون أن يقولوا بالسنتهم وأقلامهم ما يشتهرون به المرء بين العامة قضت عليهم حال المعيشة بأن يكون كسبهم الذي هو قوام معيشتهم بأعمال أخرى

حجج صفات حسن باشا عاصم وأخلاقه

(استقلال الفكر) من الصفات التي فعل بها هذا الرجل استقلال الفكر والرأي قد كان لا يقلد أحداً في رأيه وإنما ينظر في الأمر ويطلب فيه الفكر والتدبر حتى يظهر له الصواب واتنا نرى أكثر الرجال قد درجوا على التقليد والتسليم حتى كأنهم لم يخرجوا من الطفولية وهم لا يشعرون بذلك لأنهم يظنون أنهم مستقلون فيما قبلوه بادي الرأي ولا محل هنا لكشف التلبس في ذلك

(استقلال الإرادة) كان رحمه الله تعالى مستقل الإرادة قوي العزيمة أعني أنه كان يعمل دائماً ما يعتقد أنه الصواب والخير والموافق للمصلحة في الواقع ونفس الأمر بحسب اعتقاده وإن كان مما يخشى أن يعود عليه بالضرر . وهذا الخلق فينا أضف من سابقه ولو كان عندنا كثير من الحكام والعاملين الذين يعملون بما يعتقدون أنه الخير والمصلحة للبلاد لكننا من أرق الشعوب فن فينا عدداً كثيراً من العارفين بما يجب ولكنهم ضعفاء العزائم فلا يعملون بما يعلمون

(الثبات والاستقامة) كان رحمه الله تعالى كالجبل الراسخ في ثباته على رأيه وحله واستقامته في سيرة وبهذا كان نافعا في استقلاله وقوة إرادته فن العزيمة تكون في الخير والشر وفي المصلحة الخاصة والمصلحة العامة وتكون للرجل الثابت وللرجل القلب فإن الإمة التي ليس له رأي مستقر قد يكون ضعيفا في العمل بالرأي قبل أن يتحول عنه وقد يكون قويا . وكان رحمه الله لا يشك من شيء شكواه من التقلب والتحول في الناس فقد اقترحت عليه غير مرة مشروعات نافعة للأمة مما يكون بالاجتماع والتعاون وكان يجيبني في كل مرة : إنك حسن الظن في الأمة

أكثر مما يجب لأنك لما غفرت لها : وقال لي مرة أو غير مرة ما معناه اننا اذا دعونا الى هذا العمل نجد المهيين اليه كثيرين في أول الأمر ثم يتسلون لو اذا حتى لا يبقى منهم من يمكن أن يستمر به العمل

(الصبر والاحتمال) كان على نحاقة بدنه آية في الصبر على العمل واحتمال المشقة لا يمل ولا يسأم ولولا الصبر والاحتمال ما كان ثبات ولا استقامة . كان في كل عمل دخل فيه يعمل ما لا يعمله عدة رجال حتى كان يمل ويتملل كل من يشتغل معه لاسيما اذا كان هو رئيسه ولكنه لا يستطيع أن يشكو من كثرة العمل مع من يراه يعمل أضاف عمله . وقد كان يشتغل اخيرا في أربعة ادارات كبيرة في كل يوم فيعجب كل عاملها من صبره وجده - وهي ادارة القصر العالي وإدارة شركة الأمير محمد ابراهيم وإدارة الجمعية الخيرية ومدارسها وإدارة الشركة الانكليزية المصرية - هذا وهو غير مهمل لإدارة منزله بل مقيم لها على أكل نظام

(النظام والاتقان) كان عاشقا للنظام كلنا باتقان كل أمر يشتغل به . فكان كل عمله مرتباً منظماً متقناً حتى قال فيه سعد باشا زغلول انه خلق منظماً بالطبع . ومن يخطر بباله أن صاحب تلك الأعمال الكثيرة كان يشغل ساعات من ليله ونهاره ويشغل معه فيها بعض أصحابه في البحث عن صحة كلمة أو عبارة فيها يطبعه لمدارس الجمعية الخيرية أو لشركة إحياء العلوم العربية ؟ خطر له أن يطبع أجزاء القرآن الكريم لأجل التعليم في مدارس الجمعية بحسب قواعد الرسم لبرسم المصحف المنبع عن الصحابة عليه الرضوان فبدأ أولاً بالبحث عن جواز ذلك واستقى فيه الأستاذ الامام فافق . ووجد نصاً من الامام مالك يجوز في مصاحف التعليم ثم كان يستنسخ الأجزاء ويبحث بنفسه مع أهل العلم في الكلام الذي يشبه في رسمه بكلمة (الضحى) تكتب ألفها بصورة الياء أم ملياء والكلمات التي في آخرها ياء تحذف في قراءة حفص لأجل الوقت . فكانا نسهر معه الليالي ذوات العدد نقاباً في هذه الكلمات . ثم ناط ضبط ذلك كله وتصحيح الأصل بالشيخ حسين والي مؤلف كتاب الإملاء ليطبقه على قواعد الرسم بعد مراجعة كتب القراءات لكي لا يخرج الرسم عن أداء التواتر منها ثم انه كان يراجع

بنفسه كل ما يصححه الشيخ حسين

وقد عزم منذ أكثر من ستين على طبع كتاب المدة في الأدب لابن رشيق بنفقة جمعية إحياء العلوم العربية فلما أرسلت إليه المطبعة الأميرية نموذج المزمة الأولى بعد تصحيح مصححيها لها ومراجعتها مقابلته على النسخ قرأها فتوقف في فهم بعض عباراتها والأحاديث وأيات من الشعر فيها فراجع كاتب هذه السطور في ذلك في مكتب المنار غير مرة كنا نراجع فيه الأحاديث في كتبها والأشعار في مظانها من كتب الأدب واشترى هو ديوان حسان بن ثابت (رضي الله عنه) لأن فيها شيئاً من شعره وراجع أيضاً غير واحد من أصحابه أهل العلم والأدب. وبعد هذا كله لم يأذن بالطبع لأنه بقي في المزمة عبارة غامضة يرجح أنها محرفة وطفق يسأل ويبحث عن نسخة أخرى من المدة ليحلبها أو يستنسخها من القطر الذي يعلم أنها فيه . وأبى عليه خالق الأتقان وأمانة العلم أن يطبعها وهو يعتقد أن فيها تحريفاً فبارك من أنعم عليه بهذه الأخلاق ، وبأيت الدين ينجرون بطبع الكتب الدينية والعلمية وغيرها يعنون بعض هذه العناية بالضبط والأتقان

(الجِدُّ والرَّصانة) كنا نرى كثيراً من الناس ينتقدون منه رصانته وجده في كل وقت وحال ونعجبه المزَلُّ والدَّعابة وتحاميه المزاح والمفاكة في الحديث القليل وهذا هو الواجب على من يريد أن يخدم شعباً يعتقد أنه يكتر فيه الطيش والخفة ويطلب على أكثر أفرادهم المزَلُّ والهزل واللغو واللعب في زمن بزاحمه فيه أهل الجِدِّ والعمل من الشعوب الأخرى على بلاده وينازعونه جميع مقومات حياته لولا هذا الخلقان لما قدر على كل ما عمل . ولكنا لا ننكر مع هذا أن استغراق جميع الأوقات في الجِدِّ والتزام الرصانة في جميع الأحوال من المبالغة المنتقدة في الفضيلة ولكن لا يقبل انتقادها إلا ممن يصرف أكثر أوقاته في الجِدِّ ويفرغ في أقلها الأهل والصحب بما كرمهم ويمارحهم وينبسط إليهم في الحديث وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول إلا حقاً (الاقتصاد والوفاء) اشتهر فقيدنا المبكي بأعين الفضلاء بالمباينة في الاقتصاد حتى كان بعض الناس يظن فيه البخل وانتقير وهو لم يكن بخيلاً ولا مقتر في النفقة بل كان في الاتفاق على ما أمر الله تعالى في قوله (٧: ١٥) لينفق ذو سعة من سعته

ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه) كان يكتب لبيته ميزانية السنة قبل دخولها فيجعل المخرج غير مستغرق لدخل كله ويحصى كل أنواع النفقات ويضيف إليها مبلغاً احتياطياً ثم يردى كل شيء في وقته فكان يدفع اشتراكات الصحف العربية والأجنبية في أواخر شهر ديسمبر من كل سنة واشتراك الجمعية الخيرية في غرة المحرم فيأخذ أول وصل ما وصلات التحصيل وأجور الخدم في أول يوم من كل شهر ومن كل شيء بشريه في وقته . ولولا هذا الاقتصاد لما قدر على الوفاء الكامل في المعاملة بأداء كل حق في وقته ولا على الاستغناء عن الاقتراض والاعتماد بالربا نعم ان اقتصاده المبني على قواعد العلم الحديث والتزامه النظام فيه ومن كل عمل كان يستلزم مخالفة أهل البلاد في بعض الأمور مخالفة يستنكرونها فيفسونها بغير اسمها . فمن ذلك أنه كان اذا دعا الى طعامه تقرا من أصحابه وزاده عند وقت الطعام أو قبليه صاحب آخر فانه لا يدعوهم بل كان بعض أصدقائه ربما يعتمد أن يقول: بلغني أن فلانا وفلانا سيأكلان الشاء عندك وأحب أن أكون معهم : ليجيبه بحريته المهدودة : انه ليس لك كرمي على المائدة في هذه الليلة : وذلك أنه رحمه الله تعالى كان يهيء الطعام على قدر حاجة الآكلين المعلومين بلا تقدير ولا تبذير . وكيف يوصف بالتقدير من كان خدمه يأكلون من جميع ما يأكل منه أهل البيت وضيوفهم من الألوان والحلوى حتى الفاكة في الشاء

وبلغ من اقتصاده في مال الجمعية الخيرية أنه كان لا يرمي ورقة مكتوبة من الأوراق التي لم تبق من حاجة إليها الا بعد أن يقص منها ما عدا المكتوب ان كان ينتفع به بإمكان كتابة شيء عليه . ووقع لي معه دقيقة من هذه الدقائق أذكرها مثلاً وهي أنني جئت مرة قصر عابدين أبغني لقاء الأمير وكان هو رئيس التشرفات فأرسلت إليه بطاقة الزيارة للاستئذان ولما هممت بالخروج من حجرتي قال لي خذ هذه البطاقة - وكانت لا تزال في يده - فانها أدت وظيفتها الآن ويمكن أن تؤديها مرة أخرى : فقلت له ذكرني هذه الدقة في الاقتصاد كلمة للإمام الغزالي وهي أن الميزان الذي لا يرجح بالحبة لا يرجح بالقطار لأن القطار مؤلف من الحب

٧١٤ حسن باشا عاصم - صفاته وأخلاقه (المنار ٩-١٠)

فاذا ألقي في الميزان حبة بدحبة لم يكن الرجحان إلا بحبة : فأعجبه هذا القول وكان يشغل به

ومن الناس من يهزأ بهذه الدقائق ويعدّها من الصنائر التي لا تنبغي لأهل النفوس العالية . وهذا خطأ وجمل يزينه لصاحبه الاسراف والخرق واعتياد الخلل والحرمان من النظام فان الكاتب (الخطاط) الذي لا يبنى بكل حرف من الكلمة لا يكون مجموع خطه كامل الحسن، والبناء الذي لا يبنى بضبط كل حبر ينحط لا يكون بناؤه رصينا محكما، والمصور الذي لا يدقق في إحكام تصوير كل عضو لا تأتي صورته مطابقة لما صورته . وهكذا يضيع المال الكثير في غير فائدة من يفرط في حفظ القليل بوضعه في غير موضعه

ان كثيرا من المسرفين الذين يسميهم الحق أسخياء وأجوادا يملكون أصحاب الحقوق ويلوونهم وهم واجدون ما يفون به ولا يكادون يذلون شيئا في سبيل الله وإذا خرج منهم الحق لا يخرج الا نكدا ولكنهم يراون الناس باضاعة المال في أمور لا يحمد فاعلها عند العقلاء ولا يؤجر عند الله . ومنهم الذين يضيعون مالهوا من الثروة الواسعة أو غير الواسعة فيتمون في القل المروج ، والفقر المدقع ، وما أكثرهم في هذه البلاد ولكن أكثر الناس لا يعتبرون

قال الفقهاء يكره في الوضوء ان يفسل الموضوء العضو أكثر من ثلاث مرات لان ذلك من الاسراف ولو كان بثوفا من البحر الا ان يكون له حاجة أخرى في الزيادة كالبرد ولكن لا ينوي بها العبادة وقالوا ان حكمة الشرع في ذلك هي أن تعلم الأمة الاقتصاد في الأمور كلها فلا تفرط في شيء وتضيعه في غير منفعة وان لم يكن في اضاعته ضرر

أي ضرر يتصور أن يصيب الأمة لو جرى جميع أفرادها على طريق حسن باشا عاصم في الاقتصاد . لا يضيعون شيئا بوضعه في غير موضعه ولا يؤخرون حقا من مستحقه ويجهتدون في السبق الى مساعدة الجمعيات الخيرية؛ أما والله ان أمة يكثر فيها أهل هذا الخلق لجديرة بأن تكون أسعد الأمم (لترجمة بقية)

(يسدر هذا الجزء من المنار في سلخ شوال وهو شهر سلخ رمضان)

﴿ الاحتفال بالقد الاول من عمر المنار ﴾

أنشئ المنار في سنة ١٣١٥ وصدر العدد الأول منه في مساء اليوم ٢٣ من شهر شوال من تلك السنة ثم زحزحنا أول سنته الى غرة ذي القعدة ثم الى أول المحرم فصارت السنة الهجرية هي سنة المنار الحسائية منذ سنته الخامسة أي سنة ١٣٢٠ وفي أوائل هذه السنة وهي العاشرة خطر لاسماعيل بك عاصم الخطيب والمحامي الشهير أن يقيم في داره احتفالاً ينوه فيه ببلوغ المنار هذه السن من عمره ولكن عرض له سفر قضى بإرجاء ذلك وعاد الى مصر قبيل شهر رمضان وذا كرتني في ذلك فأخبرته بتاريخ انشاء المنار فسر بذلك وعزم على ان يجعل الدعوة الى الاحتفال في مثل اليوم الذي صدر فيه أول عدده منه وهو ٢٢ شوال فوزع رقايع الدعوة على أصحاب المجلات الشهيرة في مصر ومحرريها ليجتمعوا مساء ذلك اليوم في داره بالعباسية ويكون الاحتفال في ليلة ٢٣ وهي أول ليلة ظهر في مثلها المنار وكذلك كان

للمنار في مصر محبون كثيرون من عليا القوم ومنهم من يقدر على مالا يقدر عليه اسماعيل بك عاصم من خدمة الاصلاح بالترويج به وبالعون على زيادة انتشاره ولكن اسماعيل بك عاصم ابتكر هذا النوع من الاصلاح لا بسأحة عرضت أو فكرة صنعت كما ظن بعض من لا يعرف كنه الرجل بل أرشدته الى ذلك فطرته وهدته اليه ملكة راسخة فيه هي حب الاجتماعات العلمية والادبية ونشر الآراء والحكم النافعة فكلم سبق له من تأليف الجمعيات ومن مساعدة المؤلفين لها بالمال والقال على قدر الحال كما أخبرني الثقة وشاهدت في جمعية مكالم الاخلاق . ويدخل في هذا الباب مساعدته لفن التشخيص أو التمثيل بتأليف القصص وإيداعها ما يراه مناسبا لاهل البلاد من انتقاد العادات الضارة والترغيب في الآداب النافعة وبالعون على تمثيلها بالمال فقد سمعت الشيخ سلامه مدير دار التمثيل العربي وأشهر الممثلين يقول: انه كان يؤلف الرواية ويعطي (الجوق) سنين جنيها اعانة له على تمثيلها بمصر: على أن غيره لا يبيع القصة بأقل من هذا الثمن

ذكرت هذا قبل الكلام عن كيفية الاحتفال لبيان بعض مزايا المحتفل لمن لا يعرفها من قراء المنار في الشرق والغرب وفي مصر أيضاً فإني سمعت كثيرين يقولون

٧١٦ الاحتفال بالعقد الأول من المنار (المنار ٩-١٠)

بلمحة الاعجاب والتعجب كيف خطرت افلان هذه الفكرة يظنون انها سانحة عرضت ، لم تأت عن ملكة رسخت

اسماعيل بك عاصم يطالع المنار بدقة متنبأ سير الإصلاح فيه وكثيرا ماينذا كرني في مسائل منه يعجب بها فضل إعجاب ومائل ينتقدها أويري فيها غموضا أو إيهاما فله خدمة المنار علم تفصيلي وله عنده منزلة خاصة عبر عنها بهذا الاحتفال الذي يجب أن يجعله سنة دائمة فجزاه الله عن عمله وعن نيته خير الجزاء

أجاب الدعوة الى الاحتفال عشرون مدعوا تجمعهم رابطة العلم والأدب اجتماعا لا يفرقه الاختلاف في الجنس فان منهم العربي (وهم الأ كثر بالطبع) والفارسي كالكثور محمد مهدي خان صاحب مجلة (حكمت) والتركي كالكثور جودت بك صاحب مجلة (اجتهاد) ولا الاختلاف في الوطن فان منهم المصري والسوري وغير ذلك ولا الاختلاف في الدين فان منهم المسلم والنصراني القبطي وغير القبطي واليهودي وهو فرج أفندي مراد المحامي محرر مجلة التهذيب الدينية الأ دية لطائفة القرايين)

تم اجتماع القوم بعدالمساء الآخرة في الساعة السابعة مساء وكانوا قد أقبلوا فرادى ومثنى وثلاث وطفقوا يتسامرون بالطف الكلام والبشر يتدق من وجوههم سرورا بهذا الاحتفال ، الذي ألف بين الآلاف والاشكال، وصاحب الدعوة كان يقابل كل واحد بالحفاوة وانبشرو حق كان سروره بهم يرجع بسرور مجموعهم . وفي أثناء الساعة الثامنة دعوا الى حجرة المائدة فانظموا حولها كعقد اللؤلؤ المنظوم ، أو كنطقة مؤلفة من النجوم ، ولا بدع فهم نهجوم الهداية الى الاداب والعلوم ، وقد أعجبوا بذوق صاحب الدعوة ورب المدار، فيما على المائدة من تنسيق الزاحين والأزهار، واختيار أنواع الفاكة والثمار، مع حسن نظام المدار ومايزينها من نألق الأنوار، فإنه جلب اليها صنوف الفاكة السورية كالغلب الزيني والزعرور اللبناني وحب الأتس وغير ذلك علما منه بأن المحتفل لاجله ونحو نصف المدعوين وهم سوريون يحنون بذلك الى ما ألفوا في سن الصبا، وأن سائر المدعوين يسرون منه بمجد الطريف، ومازال الانسان يحن الى غير المبدول المعروف ،

(المنار ٩-١٠) الاحتفال بالقد الاول المنار ٧١٧

مكثوا نحو ساعة ونصف يمزجون أطايب الطعام ، بأطابيب الكلام ، ويجمعون بين أحاسن الفا كبة ، وأحاسن الفا كبة ، ثم طافت القناني على الا كواب ، تترعها بالماء الفارزي (النازوه) المزوج بأحلى الشراب ، فأكلوا هنيئاً مريئاً ، وشربوا حلالاً طيباً ، وبعد الطعام قام صاحب الدعوة خطيباً ، مرحباً بالقوم ترحيباً ، فألقى الخطبة التي نشرناها في هذا الجزء من المنار ، وزاد عليها نحو ما من عقائل الكلام ورفائق الاشعار ، وهما أقول إن اسماعيل بك عاصم قد اعتاد ارتجال الخطب ولم يتعود تأليفها وحفظها ثم تلاوها كما يفعل كثير من يدعون الخطابة فضلاً عن كتابتها وتلاوتها في الورق . ولكنه في هذه المرة خاف عاقبة وكتب الخطبة التي نشرناها وطبعها ليوزعها على من يحضر الاحتفال ولكنه غلب عليه ما تعود فألقاها بالمعنى غالباً وزاد فيها ما فتح عليه ارتجالاً وكان مما زاده الثناء على هذا العاجز بأكثر مما في الخطبة فأخجلني ذلك جداً

قلت بعد إتمامه ما جاد به لأشكر له ولاخواني الحاضرين فضلمهم وأقول شيئاً يناسب المقام فأوحى إلي سلطان الحجل الذي كان يحكم في وجداني حكماً استبدادياً لا طاقة لي بدفعه أن كل ما يمكن أن أقوله من الشكر أو الكلام في الإصلاح والعلم فهو يتضمن الثناء على نفسي وأرتج عليّ أو كاد حتى لم أجده من القول الا الاعتذار عن الشكر بالمعجز عنه اذ لم أوتجراًة الخطيب وطلائعه وعن الكلام في المسائل العلمية والأدبية بأني أفتح عيني فلا أرى أمامي الا العالم النحرير ، أو الكاتب البارع في التحرير ، أو الفيلسوف المدقق ، أو المؤرخ المحقق ، فإذا عساني أفيد هؤلاء الفحول ، وهم أعلم مني بكل ما يمكن أن أقول ، قلت ولو أنهم في مجتمع عظيم من سائر طبقات الناس لكان يفسر لي ان أصرف بصري عنهم ، وأخاطب بما يفتح عليّ غيرهم ، فقبلوا بكرمهم العذر ، وأعجبهم الاعتراف بالمعجز ، ولكنهم تتواضعهم عدوه من التواضع

ثم قام يعقوب أفندي صروف الدكتور في العلم والفلسفة ومحرر مجلة المقتطف المفيدة فألقى خطاباً مفيداً افتتحه بقوله انه عند ما قدم السيد رشيد رضا الى هذه الديار كتب الي بعض أهل العلم (و ذكر اسمه) كتاباً يقول فيه انه قد ظن

٧١٨ الاحتفال بالعقد الأول للمنار (المنار ٩-١٠)

الى مصر عالم واسع الاطلاع قادر على البيان والافصاح عن علمه حر لا يخاف في ابداء ما يعتقد شيئاً . فلما اطلعت على العدد الاول والثاني من المنار جازمت برأي قلته وكتبته بعد ذلك غير مرة وهوان اخواننا المسلمين سينظرون في المستقبل الى صاحب المنار وكذا الى المرحوم الفقير (يعني الاستاذ الامام) كنظر النصراني في أوروبا الى لوثير وكلفن

ذلك أيها السادة لأن الدين له أعظم تأثير في الاحوال الاجتماعية فما من مدنية قامت في العالم الا وكان أساسها الدين . اننا لانبعث في أصول الاديان لأننا كلنا نعتقد أنها من الله فهي فوق البحث ولكن فهم الناس للدين هو الذي يصددهم عن المدنية أو يسوقهم اليها فقد كان أهل أوربا يفهمون الدين المسيحي فهما حال بينهم وبين العلم والمدنية عدة قرون وبعد ان قام فيهم لوثير وأنصاره بالاصلاح الديني تغير فهم الناس للدين تغيراً كان مبدأً لمذنتهم الحاضرة . وقد كن العرب من قبل يفهمون الاسلام فهما دفعهم الى المدنية والعلوم ثم انقلبت الحال وصار المسلمون محتاجين الى اصلاح يجمع بين الدين والمدنية وأن قلانا هو الذي أخذ على نفسه القيام بهذا الإصلاح في مجلته المنارات التي اجتمعنا للاحتفال بها في هذه الليلة اجابة لدعوة صديقنا الخطيب الفاضل والمهامي الشهير اسماعيل بك عاصم . ان صاحب المنار يقاوم البدع والخرافات ويشرح الدين شرحاً سهلاً سبيل المدنية ويهدم العقبات التي تعترض سالكها ويبين كيفية سلوكها فهو يهدم ويبني في وقت واحد ثم ذكر ان هذا العمل يسر المسيحيين وغيرهم من سكان الشرق ويعدونه خدمة عامة لا خاصة بالمسلمين لأنهم يعلمون ان الشرق لاذني لا يرتقي الا اذا ارتقى المسلمون اذ هم المنصر الا كبر فيه وأنتي على هذا العاجز المحتفل لاجله وأشار الى ما اقيه من المصاعب وصبره عليها وعلى اسماعيل بك عاصم بما يليق بغيرته على العلم وجهه له وإكرامه لآله ،

هذه فحوى ما فاه به الدكتور الحكيم ملخصاً وقد كان موضوع الاعجاب والاستعسان كما يليق بما فيه من الابداع والاحسان ، نطق بذلك كل لسان بعد ما نطقت بالتصفيق اليه ،

ثم قام سيد أفندي محمد صاحب المجلة المدرسية (وناظر المدرسة التحضيرية الكبرى) وارتجل خطبة ضافية الذبول، متدقة السيول، مدح فيها العلم وأهله، وحمد فيها المحتفل وأطرى المحتفل لأجله، ومما قاله أنه عرف صاحب المنار، أول مقدمه لهذه الديار، وعلم أن سينشيء صحيفة إصلاحية فيها لذلك كان من المواطنين على قراءة المنار والاستفادة منه منذ ظهر إلى الآن. وأنه لم يكن قبل المنار يسمع صوتاً ولا يرى كتابة تنشر في مقاومة البدع والخرافات. ثم ذكر ما لقي المنار من المقاومة والمعاداة وصبر صاحبه على ذلك حتى تم نوره وعم ظهوره وانتشر تعليمه وانتفع الناس به وصرح بأن المقاومين له من العلماء وغيرهم قد انقصوا هم أنفسهم به وصاروا يفكرون في حالهم ومآلهم وما ينبغي أن يكونوا عليه في هذا العصر. وقد بالغ في إطراء هذا العاجز وتخليته بالألقاب التي لا يستحقها إذ لم يكن يشير إليه إلا بكلمة «استاذنا» وما يصله بها من النعوت العالية فجزاه الله عن حسن ظنه بأخيه خيراً. وقد أثني على المحتفل الكريم في قاتمة القول وختامه، بل في كثير في أجزائه وأقسامه، وصفق له السامعون مراراً

ثم قام توفيق أفندي عزوز صاحب مجلة المفتاح خطيباً وهو من كتاب وخطباء القبط. أصهار الرسول صلى الله عليه وسلم فذكر أن مجلته قريبة من مجلة المنار في السن فهي في السنة التاسعة من عمرها وأفاض في تفضيل المجلات على الجرائد وأثنى على المحتفل وهذا المحتفل لأجله

وكان حسن بك حماده صاحب مجلة الأحكام الشرعية قد أعد شيئاً وكتبه ليجهده أصلاً لخطبة يلقىها فضايق الوقت باطالة الخطيبين الآخرين فمنه كفيه عن الخطابة فأعطاني ما كان كتبه وهو بنصه :

«لو مضت سنة الأدب بأن لا يهنأ الشخص بشاراً، إلا ببشارة تحيط بوصفه، مسبوكة في قالب من البلاغة مساو لبلاغته، لوجب على حضرة الاخ الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر أن يقوم بهنئة نفسه ويؤدي هذا الفرض عن هذا العاجز ولكن الله سبحانه وتعالى يقبل شكر عباده على تصورهم عن أداء واجبه وصاحب المنار خير من تخلق بخلق مولاه فأطلب إليه أن يتقبل

مهنة هذا الضيف له على ثبات إرادته ومغالبته لما اعترضه من الصعاب في سبيل عمله الجليل الذي يؤديه للعالم الاسلامي بل العالم الانساني .

اذا قضى واجب الوطنية والتابعة علينا مرة بمشاطرة صاحب المنار الاغر السروز بهذا العيد الادبي فان واجب الدين الذي وقف صاحب المنار نفسه لخدمته، ومصرف مواهبه في القربى من حوضه، يوجب علينا ذلك مرات كثيرة، وقد ضمنا من وراثتهما أدب أقتناه مقام الوالد .

واني أحس كما يحس كل صادق في خدمة العلم الصحيح ساع في خير الانسانية وبعبارة أجلى كما يحس كل شخص ضمنه حاشيتا هذا المفضل الزاهر بأن نجاح صاحب المنار الاغر، وقطعه لهذا العقد من السنوات خطوة واسعة في ارتقاء الآداب، ودرة ثمينة في تاج المجلات التي تصدر في هذا القطر المبارك، بل فخر لحياة المجلات التي تصدر في الشرق أجمع .

واني عن مجلة الاحكام الشرعية أحيي مجلة المنار الاسلامي بدخولها في العقد الثاني من حياتها المباركة واسأل الله لصاحبها الفاضل النجاح والتوفيق فيما قصد . هذا وليس بجيب أن يقوم حضرة الاصولي المفضل انعام عاصم بك الخطيب الشهير بمظاهر هذا العيد فطالما خدم العلم والادب وكانت له اليد الطولى على الجمعيات الادبية في موطن كثيرة وله منا جميعاً أجمل الشكر ومن الله تعالى جزيل الاجر والسلام » اهـ

وقدم اليها الطالب النقيب محمود أفندي رمزي التاريخ الآتي فنشرناه شكر الله وتنشيطاً

مؤسس عيد المنار على السمعاني والسنن الطاهر

دعوت الجهادية السالين وأهل المعارف في القاهرة

ومن كل شهم اذا ما تحمد ث ينطق بالدرر الساحره

ليجي المنار ورب المنار وعاصم والسادة الحاضره

بيد المنار فأرخ الا يمن لقد بلغ العاشره

٣٢ ١٠٢ ١٣٤ ١٠٣٢ ٦٠٧

وانصرف القوم منصرف الليل حامدين رب الدار، مهتمين داعين بإطالة عمر المنار وصاحبه